محمود

بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب
خلاصة الفوائد





تأليف القاضي الأجل

شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى

قدس الله سره

تحقيق

إسماعيل بن إبراهيم الوزير



دار الحكمة اليمانية

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله حمداً يليق بعظمته وكبريائه وجلاله، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد وعلى آله الأخيار.

وبعد؛

فإنه قد وقعت في يديَّ مخطوطة من كتاب القاضي العلامة الإمام شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى، طيب الله ثراه.

وقد رأيت أن أقوم بتحقيقها خدمة للتراث اليمني الذي لا يزال حبيس الخزائن، إذ أن جميع ما طبع في العهد المتوكلي لا يزيد عن بضعة كتب، والحق يقال أن المذهب الزيدي قد ظلمه أبناؤه قبل غيرهم...

وبخروج هذه المخطوطة إلى النور آمل أن أكون قد ساهمت في تعريف القارىء على المستوى العلمي الرفيع الذي وصل إليه اليمنيون، في وقت كان العالم الإسلامي يمر بفترة إنحدار علمي وسياسي كبير.

وبالتأمل في مقدمة المؤلف وجدت أنه قد سلك مسلكاً حديثاً، فقد ذكر الغاية من الكتاب، وذكر تبويبه للكتاب، وأسلوبه في الكتابة، كما ذكر خطر التقليد في أصول الدين، واستشهد على ذلك بالعقل والنقل.

والكتاب في موضوع أصول الدين وقد سماه المؤلف رحمه الله تعالى (خلاصة الفوائد) وذكر أنه اختصره من كتابه (الدامغ للباطل) لتسهيل قراءته واستخلاص فوائده.

والمخطوطة نادرة فلم أجد منها إلا نسختين، إحداهما في المكتبة الخاصة بالسيد العلامة محمد بن حسن بن عبد الله غمضان وترجع كتابتها إلى سنة ١٠٢٤ للهجرة، بخط صاحبها إبراهيم بن عبد الله الحيّي، وهي واحدة في كتاب

يضم عدة مؤلفات. والأخرى في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم (٧٥١)، وكان الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الآخر سنة ٨٢٢ للهجرة، بخط القاضي أحمد بن سعد بن عبد الله بن سبأ الحرازي، وقد وردت في آخرها تعليقة بخط مختلف أشار فيها صاحبها أنه تمت دراسة هذا الكتاب بعد عصر يوم الثلاثاء الموافق ٣ من شهر جمادى الآخرة سنة ٨٢٢ للهجرة.

وكان المتوقع أن تكون هذه النسخة أكثر صحة من الأولى لقرب عهدها بالمؤلف، إلا أني وجدت أن الأولى - وإن كانت غير منقوطة - إلا أنها أوضح خطاً وأقل غلطاً، وهذه الميزة لا توجد في نسخة الجامع الكبير، حيث أنها كثيرة الأخطاء والغلطات الإملائية وفيها سقط كثير. فمن الغلطات الإملائية أني وجدت الناسخ لا يفرق بين الضاد والظاء، فيكتب محظورة بالضاد والصواب بالظاء. ومن ذلك أنه يكتب بعض الكلمات ملتصقة دون أن يفرق بينها، فيكتب مع ما يعلمه هكذا (معما يعلمه). كما وأنه غير دقيق في

نسخه المخطوطة فيقع في غلطات مثل (تشنيع). والمراد شنيع، و(ينفونها) والمراد وينفوها، و(المعاصي)، والمراد المعاني. كما أنه غالباً ما يجعل الألف المقصورة ألفاً ممدودة، فتراه يكتب جرى وافترى وعلى وهدى ويمعنى تسمى وغيرها هكذا، جرا، افترا، علا، هدا، بمعنا، تسما. ومما يدخل في أخطائه الإملائية تخبطه في كتابة الهمزة في موضعها الصحيح فيكتب لأن لئن، و. . .

ومن المقارنة بين المخطوطتين اعتمدت مخطوطة السيد محمد غمضان وجعلتها أصلاً، وأشرت إليها بالأصل، والنسخة الأخرى أشرت إليها بالنسخة ب (نخ ب).

وقد وضعت الإضافات التي رأيت أنها ضرورية لتوضيح المعنى - وهي قليلة جداً - بين قوسين معكوفين هكذا [ ]، لتبيين أن ما بينهما ليس من كلام المؤلف .

ولا أدعي الكمال في تحقيق المخطوطة، وحسبي أني بذلت وسعي في إخراجها.

والله من وراء القصد، فهو نعم المولى ونعم النصير.

إسماعيل بن إبراهيم الوزير

صنعاء في يوم الأربعاء

١٨ ذو القعدة ١٤٠٩ هـ

٢١ يونيو ١٩٨٩ م





ترجمة المؤلف

سأكتفي في ترجمة القاضي الإمام شمس الدين وجمال الإسلام جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى بإختصار ما أورده العلامة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في كتابه مطلع البدور ومجمع البحور.

فقد ترجم له في الجزء الأول في أربع صفحات، من صفحة ٢٦٣ إلى صفحة ٢٦٧، وهي ترجمة طويلة إذا نظرنا إلى غيرها من تراجم الكتاب، وفي هذا دليل على علو منزلة وشأن صاحب الترجمة.

قال العلامة ابن أبي الرجال (القاضي شيخ الإسلام، ناصر الملة، شمس الدين، وارث علوم الأئمة الأطهرين، جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى، شيخ الزيدية

ومتكلمهم، ومحدثهم، قال العلامة بن فَند الصعدي ما لفظه «عالم الزيدية المخترعة وإمامها»).

لقد بلغ القاضي الإمام جعفر مرتبة قل أن وصل إليها غيره، ولهذا فقد أثر تأثيراً بالغاً في الإتجاه الديني في اليمن، حتى ضارع به الهادي إلى الحق عليه السلام أو قرب، ذكر العلامة ابن أبي الرجال أن (على أهل اليمن نعمتان في الإسلام، الأولى الهادي، والثانية القاضي جعفر رحمه الله تعالى). ذلك أن الهادي عليه السلام أنقذ اليمن من الباطنية، والقاضي الإمام جعفر أنقذها من مذهب المطرفية، والمطرفية هم أتباع مطرف بن شهاب.

أما ولادته فلعلها في أواخر القرن الخامس الهجري أو بداية القرن السادس الهجري، فقد عاصر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وكان على صلة وثيقة به، وقد أيده المتوكل وناصره وذب عنه أعداءه لما رأى فيه من الإخلاص وعلو الهمة.

وقد قام الإمام جعفر بن أحمد بالتدريس والتعليم في منطقة سناع (إحدى ضواحي جنوب صنعاء)، فلما سمع به الناس هرعوا إليه من معظم المناطق اليمنية ينهلون من علومه ويدرسون على يديه، وحينها ناله من الأذى من أهل «وقش» (من أعمال بني مطر) ـ وهم من المطرفية ـ ما لم ينل غيره، ذلك أن أهل وقش غاروا منه لتحول الناس إليه، فدعاهم إلى المناظرة العلمية فهربوا منها لعلمهم بقوة حجته، وعارضوا مدرسته بمدرسة أخرى في جانب من جوانب المسجد الذي يدرس فيه، وآذوه ورجموا بيته بالحجارة.

ومن ما ذكره العلامة ابن أبي الرجال في هذا قوله «وتعرض للتدريس والتعليم في سناع فلما تسامع به الناس، وصلوا إليه من بعيد وقريب، فعند ذلك وقع مع أهل وقش من الغم ما لا مزيد عليه... فغاروا منه وعلموا أنه يستميل الناس عنهم... فانصرفوا وعملوا الملاقي، وكتبوا إلى جميع أصحابهم، وتكلموا على القاضي بما ليس فيه وهجوه... فقال: هلموا إلى المناظرة، فأظهر ما فيكم وتظهروا ما

فيَّ . . . فأبوا، » ويواصل العلامة ابن أبي الرجال شارحاً ما حدث للقاضي جعفر عند وصوله منطقة وقش لإقناع أهلها بما يرى من الحق قائلاً: «قال مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ع) فلم يسمعوا كلام القاضي جعفر بل آذوه، وقام في وجهه رجلان باطنيان ـ يقال لأحدهما مسلم اللحجي من أهل شطب، والآخر يقال له يحيى بن حسين يلقب بالفقيه، فآذياه وسبّاه، فعاد إلى سناع، ومعه جماعة من الأشراف».

ويستمر ابن أبي الرجال قائلاً: «وكان للقاضي في مسجد سناع مدرسة فعارضه المطرفية بمدرسة أخرى في جانب المسجد، فقام بعض الأشراف فأطفىء سراجهم، فقاموا فأطفأوا مصباح القاضي، ووقع بينهم كلام، وارتفع القاضي إلى منزله، فرجموا بيته بالليل».

ويمتاز شيخ الإسلام الإمام جعفر بن أحمد برجاحة عقله، إذ أدرك أنه لا يجوز التفريط في استخدام العقل في البحث والتنقيب عن الحقيقة بين المذاهب المختلفة، لذا

ورغم أنه كان من المطرفية اتصل بالعلامة زيد بن الحسن البيهقي عند وصله اليمن، فقرأ عليه وأخذ عنه، فلما تبين له الحق رجع عن مذهب التطريف، وعندما رحل العلامة البيهقي إلى العراق صحبه القاضي جعفر، ليتم دروسه عليه، وفي تهامة توفي العلامة البيهقي، ولما يصل إلى العراق بعد، وواصل القاضي جعفر رحلته إلى العراق، واتصل بتلميذ البيهقي الحسن بن أحمد الكني وأخذ عنه ثم رجع إلى اليمن، قال في مطلع البدور (وكان يقال: «سار وهو أعلم أهل اليمن، ورجع وهو أعلم أهل العراق»، وجعل الله البركة فيه). وكانت له نية صالحة ووجاهة، ولهذا استفاد عليه جماهير علماء الزيدية في وقته، وصاروا أئمة يضرب بعلمهم المثل، فمن تلامذته السيد حمزة بن سليمان والد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، والسيد يحيى بن عمار السليماني، والشيخ الحسن بن أحمد الرصاص، والقاضي سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي الرجال، وإخوته الحسن بن محمد بن أبي الرجال، وأحمد بن محمد بن أبي الرجال، وعلي بن محمد بن أبي الرجال، وغيرهم كثير.

وللقاضي جعفر طيب الله ثراه مؤلفات عديدة في كل فن، عليها إعتماد الزيدية، منها: ـ

١ ـ شرح نكت العبادات.
٢ ـ الدامغ للباطل.
٣ ـ الدلائل الباهرة في المسائل الظاهرة.
٤ ـ تقويم المائل وتعليم الجاهل.
٥ ـ الإبانة في نصيحة الخوارج.
٦ ـ العمدة.
٧ ـ منهاج السلامة.
٨ ـ تحكيم الإنصاف.
٩ ـ الرافعة بالتنبيه بشبهات التمويه.
١٠ ـ الضامنة الوفية.
١١ ـ المسائل الكوفية.

وله مختصرات كثيرة مبسطة، ذكر منها العلامة ابن أبي الرجال رحمه تعالى ٢٣ رسالة وكتاب، منها: ـ

١ ـ المسائل العقلية.

٢ ـ المسائل الإلّهية.

٣ ـ المسائل النبوية القاسمية.

٤ ـ المسائل الهادوية.

وله غيرها مما لم تذكر في مطلع البدور كثير.

أما وفاته طيب الله ثراه فكانت سنة ٥٧٣هـ للهجرة، وقبره مشهور مزور في قرية سناع.



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين، وعليه أتوكل.

الحمد لله على سوابغ النعم، وتوام العطايا والقِسم، وصلى الله على نبيه محمد سيد الأمم، وأشرف مبعوث إلى العرب والعجم، وعلى عترته، مصابيح الظلم، وينابيع العلم والحكم، وسلم ورحم وكرم وشرف وعظم.

أما بعد؛

فإني كنت صنفت كتاب الدامغ للباطل، ونقضت به ما أورده بعض مشائخ الحنبلية في نصرة مذهبه واعترض على أهل العدل به، وكان مشتملاً على بيان صحة مذاهب العدل وتنزيه الله سبحانه [وتعالى] عن الجور والظلم، وإيضاح خطأ من أضاف أفعال العباد إليه، وكشف الغطاء عما التبس على

ذلك المتكلم حتى ذهب عن الحق الذي لعله قصد إليه، ووقع في الباطل الذي لعله هرب منه[1].

وكان الكتاب قد احتوى على بسط الكلام واتساع فصوله حسبما دعت الحاجة إليه، وجرت القضيّة فيه على الرسم المعتاد بين أهل العلم من المضايقة والمؤاخذة وإطراح المسامحة. لأن المقام هنالك مقام الجهاد الأعظم، فاتسع مجاله لأجل ذلك حتى ربما بَعُد تناول الفائدة على مرتادها إلا بعد عناية وتأمل.

فسألني بعض الإخوان المتمسكين بعروة الإيمان، الراغبين في الهدى والبيان أن أشرح خلاصة تلك الفوائد واحذف ما عداها من الزوائد. فأجبته إلى ما سأل وحققت أمله الذي أمل، وجعلت هذا الكتاب محتوياً على أبواب ستة.

(١) في هذا حسن ظن كبير فيمن خالف المؤلف في العقيدة، إذ يحمله على السلامة، ويعتبره محاولاً الوصول إلى الحقيقة مخطئاً في الوسيلة.

الأول منها في ذكر القدرية وما جاء فيهم.

الثاني منها في القول في خلق الأفعال.

الثالث منها القول في الإرادة.

الرابع منها القول في القضاء والقدر.

الخامس منها القول في الضلال والهدى.

السادس منها القول في التكليف وشرائطه وتوابعه.

وبذلك يتم مقصود الكتاب.

وقصدت[1] بما أوردته تمكين الناظر في الأدلة من التفكر فيها ليصل بذلك إلى العلم اليقين، ويخرج من دائرة المقلدين. فإن التقليد هلكة لمن وثق به ومهواة ضلال لمن وقع فيه.

والتقليد[2] فهو الاعتقاد المستند إلى قول الغير من غير اعتماد على حجة ولا بصيرة، فكأن المقلد يجعل اعتقاده

---

(١) في ب وقد قصدت.

(٢) التقليد في ب ساقطة.

قلادة في عنق من تبعه وقلده، ولا شك أن التقليد في مسائل الأصول التي يتمكن المكلف من المصير فيها إلى العلم قبيح، لا يجوز الإقتصار عليه، لأن المقلد لا يأمن خطأ من قلده، والإقدام على ما لا يأمن كونه خطأ يقبح كما يقبح الإقدام على ما يعلم أنه خطأ، ولو جاز أن يقلد في ذلك من وثق به من مشائخ مذهبه وأعيان بلده، لجاز مثله في كل فرقة حتى يؤدي ذلك إلى جواز تقليد الملحد كما يجوز تقليد الموحد، لأن المقلد لا يفصل بينهما، وكل واثق بمن يحبه ويألفه، من شيخ أو والد أو صديق، وفي ذلك وقوع المساواة بين المحق والمبطل، وهذا باطل.

وقد تطابق الكتاب والسنة على ما قضى به العقل من قبح التقليد وذم أهله، فقال الله سبحانه: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾[1]. ونحو

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٤.

ذلك من آيات القرآن الكريم[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أخذ دينه عن التفكر في آلاء الله[2]، وعن التدبر لكتابه والتفهم لسنتي، زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال وقلدهم فيه ذهب به الرجال من يمين إلى شمال، وكان من دين الله على أعظم زوال). وكفى بذلك زاجراً للمقلدين، وبعثاً على النظر في أصول الدين.

وأوردت أيضاً ما يعتمد عليه المخالف من الشبهات والآيات المتشابهات، وأوضحت الجواب عنها على وجه يسهل فهمه ويقرب تناوله، وكان فيما أورده المخالف أشياء لا يصح التعلق بها لبعدها عن مطلوبه. فأعرضت[3] عن إيرادها لقلة الفائدة في ذكرها.

---

(١) في ب العظيم.

(٢) في ب زيادة تعالى.

(٣) في ب فاعترضت على إيرادها، وهو وهم من الناسخ.

ومن الله سبحانه ألتمس المعونة على الرشاد، والتوفيق في الإصدار والإيراد، بمنّه ولطفه.



الباب الأول



في ذكر القدرية

وما جاء فيهم



إعلم أن الأمـة أجمعت على ذم القدريـة والتبري منهم، عمـلاً[1] بمـا روي عن النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم أنـه قال:

[١] (القـدريـة مجـوس هـذه الأمــة، إن مـرضــوا فـلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم).

[٢] وروي عنـه صلى الله عليه وآلـه وسلم أنه قـال: (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم).

ثم اختلفوا بعد ذلـك في القدريـة مَنْ هم، فالـذي عليه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وجماعة أهل العـدل من علماء الإسلام أن القدرية هم الذين يضيفون إلى الله سبحـانه [وتعالى] كل ما يجري في العالم من الخبـائث والمخـازي،

---

(١) عملاً ساقطة في ب.

على معنى أنــه قضى بهـا وقــدرهـا على خلقــه، أو خلقهـا وأوجدها فيهم، أو أرادها وشاءها منهم.

وقالت المجبرة المضيفون ذلك إلى الله سبحانه [وتعالى] بل القدرية هم الذين نفوا ذلك عنه تعالى.

والـذي يدل على صحـة ما ذهب[1] إليـه العترة الـطاهرة ومن طابقهم وجوه:

أحدها: الأخبار الواردة في ذلك فمنها ما روي عن حذيفـة[2]

---

(١) في ب ما ذهبت إليه.

(٢) حـذيفة بن حسـل بن جـابـر العبسي، أبـو عبـد الله، اليمـان لقب حسل، صحابي، ولي المدائن، واستقدمه عمر إلى المدينة، فلمـا قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها، فرآه على الحـال التي خرج بها، فعانقه، وسر بعفتـه، ثـم أعاده إلى المـدائن، فتوفي فيهـا سنة ٣٦ للهجرة.

(ابن عساكر ج ٤ ص ٩٣، حلية الأولياء ج ١ ص ٢٧٠).

وأنس[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي، لعنهما الله على لسان سبعين نبياً، القدرية والمرجئة، قيل: يا رسول الله من القدرية؟ قال: الذين يعملون المعاصي ويقولون هي من قبل الله. قيل: فمن المرجئة؟ قال: الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل) وهذا نص صريح في موضع الخلاف.

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال للشيخ الشامي الذي سأله عن مسيره إلى الشام أهو بقضاء من الله وقدر[2] (لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد

(١) أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة، ولد سنة ١٠ قبل الهجرة، وتوفي بسنة ٩٣ للهجرة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخادمه، مولده بالمدينة، مات في البصرة، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٠).

(٢) في ب فقال له: علي عليه السلام.

والوعيد، والأمر والنهي، ولما كانت تأتي من الله محمدة لمحسن ولا مذمة لمسيء، ولما كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمان، وشهود الزور، وأهل العمى عن الصواب في الأمور، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها). فصرح عليه السلام بأن الذين ينسبون أفعال العباد إلى قضاء الله سبحانه [وتعالى] وقدره الذي لا محيص لأحد عنه هم قدرية هذه الأمة ومجوسها. وهذا الخبر يأتي متمماً فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وروي عن عبد الله بن عمر[1] أنه قال: «القدرية مجوس

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي، شهد فتح مكة ومولده فيها سنة ١٠ قبل الهجرة، وتوفي فيها سنة ٧٣ للهجرة وقيل سنة ٦٣، وقيل سنة ٦٤. كف بصره آخر عمره، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة.
(معالم الإيمان ج ١ ص ٧٠، تهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٧٨، طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٠٥).

هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، قيل: من هم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: الذين يعملون بالمعاصي ثم يزعمون أنها من الله[1] كتبها عليهم). وهذا تصريح كما ترى عنه بأسمائهم وأوصافهم.

وفي الخبر الطويل الذي نورده فيما بعد عن الحسن البصري[2] أنه قال في صفة الذين يضيفون المعاصي إلى الله تعالى: (والله ما هم إلا الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مجوس أمتي القدرية إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم فإنهم شر البرية، حق على الله تعالى أن يحشرهم مع الدجال). إلى غير ذلك مما يكثر.

---

(١) في ب من قضاء الله.

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي ولد بالمدينة سنة ٢١ للهجرة، وشب في كنف الإمام علي عليه السلام، وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار، توفي بالبصرة سنة ١١٠ للهجرة. (حلية الأولياء ج ٢ ص ١٣١، أمالي المرتضى ج ١ ص ١٠٦).

وثـاني هذه الـوجوه أن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم سمى القدرية مجـوس هذه الأمـة بما تقـدم ذكره وبمـا روي (أنه جاءه رجل من أرض فارس، فقـال له النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم: أخبـرنـا بـأعجب شيء رأيتـه، فقـال: رأيت قومـاً ينكحـون أمهـاتهم وبنـاتهم أو قـال وأخواتهم ويقولـون هذا قضـاء الله فينا أو علينـا. فقال عليه السلام: أمـا أنه سيكـون في آخر هـذه الأمة قـوم يقـولون مثـل مقالتهم، أولئـك مجـوس أمتي). وهـذا تصريح منـه عليه السـلام بأن المضيفين هـذه الخبائث إلى الله سبحـانه هم مجوس الأمة، لأنهم يقـولون في كـل من نكح أمـه أو إبنتـه أو أختـه إن الـذي فعله من ذلك كان[1] بقضاء من الله وقدره.

ونحن لا نجـوّز إطلاق ذلـك بل نقـول: قضى الله تعالى أن لا تنكح الأم والأخت ولا واحدة من المحارم.

---

(١) كان ساقطة في ب.

هذا وجه مما صار مذهب المضيفين إلى الله سبحانه هذه الخبائث مشابهاً منه مذهب المجوس، وإن كان قد أشبهه أيضاً من وجوه أخر.

منها أنهم يقولون أن من يقدر على الخير كالمؤمن فإنه لا يقدر على الشر، ومن يقدر على الشر كالكافر فإنه لا يقدر على الخير، وهذا نفس[1] مذهب المجوس.

ومذهبنا بخلافه فإن عندنا أن الكافر قادر على الخير الذي هو الإيمان، ولو لم يكن قادراً عليه لم يكلفه الله تعالى إياه لأنه لا يكلف أحداً ما لا يطيقه، ولذلك فلو لم يكن المؤمن قادراً على الكفر لما جاز نهيه عن فعله، لأن نهي الواحد عما لا يستطيعه قبيح، ولذلك يقبح نهي الأعمى عن نظر العورات[2].

---

(١) في ب وهذا هو.

(٢) في ب المحارم يعني العورات.

ومنها: أنهم يجوزون أن يثاب الواحد[1] ويعاقب ويمدح ويذم بما لم يفعل، لأنهم يقولون إن الطاعات والمعاصي ليست من العباد، وإنما هي خلق الله فيهم، وهذا[2] نفس مذهب المجوس، فإنه يروى عنهم أنهم يأخذون عنزاً ويدفعونها من شاهق حتى تسقط، ويضربون رأسها بالخشب، حتى إذا ماتت أكلوا لحمها، وقالوا: قد عصت الله وسمّوا لحمها (يزدان فست)، و(يزدان) عندهم إسم لله تعالى، و(فست) إسم اللحم، فكأنهم يقولون هو اللحم الذي لله أو من الله، ويزعمون أن ذلك نزل بها عقوبة لها، مع علمهم أنها لم تفعل شيئاً تستوجب به ذلك. وهذا ما يؤثر عن المجوس فقد وافقهم من أضاف المعاصي إلى الله تعالى في القول بعقاب من لا ذنب له.

ونحن نقول بخلاف ذلك، لأن عندنا أن الله تعالى لا

---

(١) في ب الواحد منا.

(٢) في ب وهذا هو.

يعذب أحداً إلا بذنبه كما قال تعالى: ﴿... **كلًا أخذنا بذنبه**﴾[1]، وقال: ﴿**فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾[2].

ومنها أن المضيفين لهذه المعاصي إلى الله سبحانه يقولون إن المعصية من إثنين، أحدهما محمود عليها ومرضي بما خلقه منها، وهو الله تعالى، والآخر مذموم ومسخوط عليه بها وهو العبد، وهذا مثل مذهب المجوس، فإنهم يقولون العالم مِن صانعين أحدهما محمود والآخر مذموم.

ونحن نقول بخلاف ذلك، فإن عندنا أن المعصية من العاصي وحده، وأنه يُذم عليها، ويعاقب على فعلها، وليس لله تعالى فيها شُركة، إذ لو كان شريكاً فيها بأن خلقها في العاصي لما نهاه عن فعلها ولا ذمه عليها، كما لم يصح[3]

(١) سورة العنكبوت آية ٤٠.

(٢) سورة يس آية ٥٤.

(٣) في ب لا يصح.

شيء من ذلك في الصور والألوان.

فهذه وجوه قد اقتصرنا عليها من جملة الأمور التي أشبهت مذاهب المضيفين إلى الله تعالى هذه الخبائث مذاهب المجوس، فكانوا بإسم القدرية أحق وأولى.

والثالث: أنهم يثبتون القدر في كل معصية، ويقولون إن جميع المعاصي الواقعة من أهل الفساد بقضاء من الله وقدره.

ونحن ننفي ذلك ونقول معاذ الله أن يقضي الله تعالى إلا بالحق، كما أخبر بذلك في كتابه الكريم بقوله: ﴿**والله يقضي بالحق**﴾[1]. ولا شك في أن المعاصي باطل فلا تجوز نسبتها إلى قضائه تعالى.

فإذا ثبت أنهم يثبتون من ذلك ما ننفيه كانوا أولى بهذا الإسم، لأن المثبت للشيء هو أولى بأن يشتق له إسم منه

---

(١) سورة غافر آية ٢٠.

دون من نفاه[1]، ألا ترى أن الثنوي إسم لمن أثبت الثاني مع الله تعالى لا لمن نفاه، والمرجي إسم لمن أثبت الإرجاء لا لمن نفاه، والمشبّه إسم لمن أثبت التشبيه لا لمن نفاه. فصح أن الذين يضيفون هذه المعاصي إلى القضاء والقدر هم القدرية، دون من ينفي ذلك.

والرابع: أنهم لهجوا بهذا القول فنسبوا إليه، أما لهجهم فمعلوم أن من ارتكب معصية منهم لم يسأل نفسه إلا بأن يقول هذا بقضاء من الله سبحانه وقدر، ولا شك أن من لهج[2] بشيء نسب إليه، كما يقال: فلان تمري ولبني للذي يلهج بذلك ويكثر ذكره.

ونحن لا نلهج به ولا نكثر ذكره، بل نقول هذه المعاصي والمخازي من فسقة الخلق، والله بريء منها، ولا عذر لهم في الإقدام عليها، فكانوا بإسم القدرية أولى من غيرهم.

---

(١) في ب دون من ينفي ذلك.

(٢) لهج لهجاً بالشيء ثابر عليه. (المنجد صفحة ٧٣٥).

وما روي في الخبر من نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مجالستهم فلذلك وجوه ظاهرة:

أحدها: أنهم ممن يتخذ آيات الله هزواً ولعباً، لأنهم لقولهم أن أفعال العباد كلها من الله سبحانه خلقها فيهم[1] وأوجدها، لا اختيار لهم في إيجادها، ولا قدرة لهم على تحصيلها، قد صيّروا الكتب المنزلة هزواً، لأن هذه الأفعال متى كانت من الله سبحانه لم يكن للأمر بها ولا للنهي عنها معنى، ولا للوعد والوعيد وجه، لأن من أمر غيره بما يفعله هو ويوجده دون المأمور، أو نهاه عنه، مع علمه بأن المأمور والمنهي لا صنع له في إيجاده ولا اختيار في تحصيله، فقد أتى بنهاية الهزوء والهذر الذي لا فائدة فيه ولا معنى تحته. فاعتقاد المضيفين لهذه الأفعال إلى الله سبحانه في

---

(١) في ب وأحدثها وأوجدها فيهم.

آيـات الله أنها بهـذه المثابـة[1] فنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مجالستهم نهي واقع في موقعه، لأنهم يكثـرون الخـوض[2] في ذلـك، وقـد نهى الله سبحانه عن مجالسة من هذه حاله بقوله: **﴿وقد نـزل عليكم في الكتـاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفـر بها ويستهـزأ بهـا فـلا تقعـدوا معهم حتى يخـوضـوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾**[3].

وثانيها: أنهم بإضافـة[4] هذه الأفعـال إلى الله سبحانـه جعلوا بعثـة الأنبياء عليهم السـلام في نهـايـة العبث وغـايـة السفه، لأن الله سبحانه إذا كان عنـدهم هو المتـولي

---

(١) المثـابة المـوضع الـذي يثـاب إليـه أي يـرجـع إليـه مـرة أخـرى. والمنزلة. والمراد بهذه المنزلة.

(٢) يخوض الماء خوضاً وخياضاً، دخله، (وكنا نخوض مع الخائضين) أي في الباطل ونتبع الغاوين، (تـرتيب القامـوس ج ٢ ص ١٢٧، المنجد ص ١٩٩).

(٣) سورة النساء آية ١٤٠.

(٤) في ب بإضافتهم.

لخلق هذه الأفعال، من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان فلا معنى إذاً لإرسال الرسل ولا لأمرهم بدعاء[1] الخلق إلى الطاعة، كما لا يجوز أن يدعوهم إلى الخروج من صورهم وألوانهم، وهذا ظاهر، فإذا كان اعتقادهم لذلك يؤدي إلى أن تكون البعثة للرسل عبثاً كانت مجالستهم التي يذكر عندها ذلك محظورة محرمة.

ومتى قالوا إن في بعثة الأنبياء فائدة وهي إقامة الحجة على المكلفين. قيل لهم: إن معنى إقامة الحجة هو أن تعرّفهم الأنبياء عليهم السلام الفرق بين الحلال والحرام، والتمييز بين الطاعة والمعصية، ويحثوهم على فعل الخير ويرغبوهم فيه ويوعدوهم[2] بالثواب العظيم، ويصرفوهم عن فعل الشر ويتوعدوهم عليه بالعقاب العظيم. فإذا كانت أفعالهم كلها خلقاً من الله تعالى لم يصح شيء من ذلك،

---

١) دعاء دعاءً ودعوى، رغب إليه (المنجد ص ٢١٦).

٢) في ب ويعدوهم.

فلزم على قولهم أن يكون بعث الأنبياء عبثاً من كل وجه، وهذا ما لا يخفى على منصف.

وثالثها: أنهم متى قالوا بأن هذه الخبائث والمعاصي هي خلق الله تعالى في العصاة كان ذلك أعظم وجوه الإغراء بها لكل من جالسهم وسمع كلامهم من الجهال الذين تتوق أنفسهم إلى هذه المعاصي الشهية، لأنهم إذا اطلعوا من قولهم على أنهم متى أطاعوا أنفسهم في طلب شهواتهم ونيل لذاتهم فذلك شيء ليس هو منهم وإنما هو من الله خلقه فيهم وأراده منهم؛ لم يلبث الجهال أن يسترسلوا في كل ما تشتهيه أنفسهم من المخازي وجعلوا هذا المذهب وجه عذرهم[1]. ولا شك أن كل مذهب أو قول أغرى العباد بمعاصي الله، ورخص لهم فإن اعتقاده حرام، والإصغاء إلى استماعه ربما يدعو إلى اعتقاده، فوقع النهي عن مجالسة أهله.

---

(١) في ب وجه عذرهم فيه.

ورابعها: أنهم متى قالوا أن هذه الطاعات ليست من فعل العباد وإنما هي من فعل الله تعالى خلقها فيهم، وسمع ذلك من جالسهم من العامة، مع ما يعلمه من مشقة هذه الطاعة، وأنها كريهة إلى النفس، ثقيلة على الطبع، فإنه لا يعزم على تحمل مشقتها، ولا يوطن نفسه على الصبر على كلفها[1]، بل يقول إذا كانت هذه الأفعال من الله تعالى فمتى خلقها فيَّ وجدَتْ شئت أو أبيت، ومتى لم يخلقها فيَّ لم توجد، فلا معنى لعزمي عليها، ولا لمجاهدتي نفسي فيها، فتكون مجالستهم أعظم الصوارف عن طاعة الله، كما أنها أعظم الدواعي إلى معصيته[2]، فصارت لذلك مجالستهم

---

(١) في ب على كلفتها. وتكلّفة تجشّمه، وحملته تكلفة إذا لم تطقه إلا تكلفاً (ترتيب القاموس ج ٤ ص ٧٥)، وتكلف الأمر تجشمه وتحمله على مشقة. (المنجد ص ٦٩٥).

(٢) في ب إلى المعصية.

أضر على الإنسان من تناول السموم المهلكة.

وخامسها: أن من جالسهم من العصاة الذين قد مردوا على المعاصي وسمع عن من يدعي العلم منهم، وينسب إلى الفقه ويتزيا بالصلاح ويلبِّس أحواله على عوام الخلق، أن هذه المعاصي من الله تعالى وأن العصاة لم يبتدعوها من ذات أنفسهم، بل خلقها تعالى فيهم وثبت ذلك في نفسه لم تصح له توبة منها أصلاً، لأن أحد شرائط التوبة وأركانها الاعتراف بالذنب، قال تعالى:[1] ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾[2]. ولا إشكال في أن الاعتراف أن يقول الجاني جنيت وأسأت وأذنبت وأخطأت فاعذرني واغفر لي، وذلك لا يصح ممن يزعم أن جميع المعاصي خلق الله

---

(١) في ب كما قال تعالى.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٢.

تعالى فيه وفي كل عاصي من الخلق، فتكون مجالستهم سادة لباب التوبة على عباد الله.

وسادسها: أن مجالستهم مجلبة لسوء الظن بالله تعالى، ولا شك أن سوء الظن به مهواة[1] من مهاوي الهلاك كما قال تعالى: ﴿**الظانين بالله ظن السوء، عليهم دائرة السوء، وغضب الله عليهم ولعنهم، وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً**﴾[2]. وبيان ذلك أنهم يقولون إن الله تعالى خلق أكثر الخلق وأوقعهم في الكفر من غير سبب سابق منهم ولا جرم متقدم لهم، وأمر بقتلهم في الدنيا عقاباً لهم على شيء خلقه فيهم، وأعد لهم في الآخرة عذاب النار، فصار بمثابة من يشتري عبداً صغيراً ضعيفاً ثم يأمر بتقييده إبتداء لغير جناية منه سابقة، ولا خطيئة

---

(١) المهواة والهوة والأهوية والهاوية، كل فارغ (ترتيب القاموس ج ٤ ص ٥٤٨).

(٢) سورة الفتح آية ٦.

متقدمة، ثم أخذ يذمه على كونه مقيدا، وأمر بقطع يده لأجل ذلك، فلما رأى يده مقطوعة أغلظ عليه التعنيف واللوم بسبب كونه مقطوع اليد، ثم أمر بضرب عنقه عقوبة على ذلك، وفي كل هذه الأحوال لم يجن العبد جناية ولم يقترف جرماً[1].

ولا شك أن واحداً إذا ظن في غيره هذه الظنون فلم يبق من سوء الظن غاية وراءها. والمضيفون إلى الله سبحانه هذه المعاصي يظنون بالله تعالى هذه الظنون، فمجالستهم تكسب الجليس ذلك فيشقى بهم جليسهم.

فبان بهذا أنهم هم القدرية المنهي عن مجالستهم، ومما يحقق هذه الجملة أن النهي عن مجالستهم لا بد أن يكون له معنى وفائدة، وهي أن يمتنع الناس عنها ولا يختاروا إيجادها، فلو كانت أفعال العباد خلقاً من الله سبحانه

---

(١) في ب حراماً.

يوجدها[1] فيهم لكانت مجالستهم خلقاً لله سبحانه أوجدها فيهم، وكذلك الكلام القبيح الذي يسمعونه عند المجالسة، وكذلك السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم، فإذا كانت هذه الأشياء كلها خلقاً لله تعالى فيهم لم يكن للنهي فائدة أصلاً.

وهذا بين لمن أنصف، ولا يصح قول من يقول: إن القدرية هم الذين يقولون إن العباد يتفردون بأفعالهم ويقدرون عليها، فلما أثبتوا لأنفسهم القُدرة سُمُّوا قدرية، لأنا نقول لهم إن النسبة إلى القدرة قُدْري بضم القاف وإسكان الدال، فأما القَدَري فمنسوب إلى القَدَر، فوجب أن يكون إسماً لمن أثبت القدر ولهِجَ بذكره على ما تقدم بيانه.

ولا يصح أيضاً قول من يقول إنكم لما نفيتم القدر عن الله تعالى في المعاصي أثبتموه لأنفسكم فيصح تسميتكم قدرية بذلك، لأنا نقول نحن ننفي عن الله سبحانه أن تكون

---

(١) الكلمة من نخ ب وفي الأصل لوجدها.

المعاصي بقضائه وقدره على ما تزعمه المجبرة، ولسنا نثبت القدر والقضاء لأنفسنا ولا نقول: إنما فعلنا هذه المعاصي بقضاء منّا وقدر حتى يصح ما قال الخصم، بل نقول هذه المعاصي فعلها العاصي وحده لم يشاركه الله تعالى ولا غيره في إيجادها، ولا نقول قضى العاصي على نفسه بالمعصية وقدرها عليه، فلم نكن مثبتين للقدر، وصح أن القدرية هم الذين أثبتوا القدر لله تعالى في المعاصي على ما تقدم.





الباب الثاني



في خلق الأفعال



اعلم أن مذهب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وكافة أهل العدل من علماء الإسلام، أن جميع أفعال العباد الحسن منها والقبيح؛ منهم، أوجدوها وأحدثوها ولم يشاركهم فيها مشارك، ولم يخلقها الله سبحانه فيهم، ولا أجبرهم عليها، وإن كان تعالى هو الذي أقدرهم على فعلها ومكّنهم من إحداثها وعرفهم خيرها وشرها.

وقالت المجبرة[1] أن الله تعالى خلق أفعال العباد وأوجدها فيهم حسنها وقبيحها.. وفيهم من يقول إن الله سبحانه خلقها والعباد اكتسبوها. ولا يرجعون في الكسب إلى معنى يعقل.

---

(١) المجبرة والقدرية والمجورة أسماء لمسمى واحد، وسموا مجبرة لقولهم بالجبر، وقدرية لقولهم المعاصي بقضاء الله وقدره، ومجوّرة لإضافة كل جور إلى الله تعالى وهو الظلم. (الشافي ج ١ ص ١٣٠).

والذي يدل على صحة مذهب أهل البيت عليهم السلام ومن طابقهم أدلة عقلية وسمعية[1].

[الأدلة العقلية -]

فمن العقلية أن هذه الأفعال لو كانت مخلوقة لله تعالى فينا لم يجب وقوفها على أحوالنا، فتوجد بحسب قصودنا ودواعينا، وتنتفي بحسب كراهتنا وصوارفنا. فمتى أردناها وجدت[2] ومتى كرهنا لم توجد، مع سلامة الأحوال، كما لا يجب ذلك في ألواننا وصورنا وطولنا وقصرنا، ألا ترى أن الألوان والصور والطول والقصر لما كانت من خلق الله فينا لم نوقَّف[3] على أحوالنا ولا جرت بحسب قصدنا[4]، فلما خالفتها الأفعال في هذه القضية عرفنا أنها منّا غير مخلوقة منه تعالى.

---

(١) في ب وأدلة سمعية.

(٢) في ب فمتى أردنا وجودها وجدت.

(٣) في ب لم تقف على.

(٤) في ب قصودنا.

الثاني: أن هذه الأفعال لو كانت مخلوقة لله تعالى فينا لم يحسن الأمر بشيء منها ولا النهي، ولا المدح على شيء منها ولا الذم[1]، ولا الثواب على شيء[2] منها ولا العقاب، كما لا يحسن شيء من ذلك في الألوان والصور، ولمّا علمنا الفرق بين هذه الأفعال وبين الصور والألوان في جميع هذه الأحكام علمنا أن هذه الأفعال ليست مخلوقة من قِبله تعالى.

والثالث: أن الحكيم لا يجوز أن يخلق سبَّ نفسه ولا سوء الثناء عليه ولا تكذيب رسله الصادقين ولا الاستخفاف بأنبيائه المكرمين، وهذا عند كل عاقل أظهر من أن يحتاج إلى بيانه[3]، فلم يجز لأحد أن ينسب خلق شيء من ذلك إلى الله تعالى.

والرابع: أنه تعالى لو كان خالقاً لذم نفسه الذي وجد من

(١) في ب لم يحسن الأمر والنهي ولا المدح ولا الذم على فعل شيء منها.

(٢) في ب ولا الثواب على فعل شيء منها.

(٣) في ب إلى إثباته.

الكفار والقول أنه ثالث ثلاثة، والقول أن عيسى ابنه كما قالت النصارى والقول بأن عزيز ابنه[1] وأن يده مغلولة كما قالت اليهود، ثم مع ذلك هو المادح لنفسه بالمدائح الموجودة في الكتاب والسنة، والمثني (عليها)[2] بالثناء الجميل والأسماء الحسنة، والمخبر بأنه واحد لا ثاني معه وأنه لم يتخذ ولداً وأن يديه بالأنعام مبسوطتان، وكانت هذه الأخبار كلها مع تنافيها وتناقضها أعني أخبار المدح والذم، والتوحيد والتثليث موجودة منه تعالى لم يكن بعضها بالصحة والصدق أولى من بعض، فيجب أن تتساوى فتصح كلها حتى يعتقد جميع من أضاف ذلك إلى الله سبحانه جميع ما تضمنته من أنه تعالى ممدوح ومذموم، وأنه واحد وأنه ثالث ثلاثة، وأن له ولداً ولا ولد له إلى غير ذلك من الجهالات والاعتقادات المتناقضة. أو تتساوى كلها في البطلان[3]، من حيث أنها متساوية في أن

---

(١) في ب إبن الله.

(٢) الكلمة من نخ ب وفي الأصل علينا.

(٣) في ب بالبطلان.

كل واحد منه تعالى أوجده ولا مزية للبعض على البعض الآخر، فلما كان ذلك باطلاً علمنا أن هذه الأخبار الكاذبة المتضمنة الاعتقادات الباطلة ليست منه تعالى بوجه من الوجوه، وإنما هي من الكذبة عليه والكفرة [1]. وفي ذلك صحة ما قلنا من أن أفعال العباد غير مخلوقة منه تعالى، وهذا بين لمن تأمله.

الخامس: أنه تعالى لو كان هو الخالق والفاعل لما يوجد في العالم من الظلم والكذب والجور لوجب أن يسمى ظالماً وكاذباً وجائراً، كما أنه يسمى بفعل العدل والصدق والإنصاف وخلقه لذلك عادلاً وصادقاً ومنصفاً. وإنما قلنا أن ذلك لازم لهم، لأن الظالم في اللغة إسم لمن فعل الظلم ووجد الظلم من جهته، والكاذب إسم لمن فعل الكذب، والجائر إسم لمن فعل الجور، والخالق للشيء هو الفاعل له، ولا فرق[2] بينهما في عرف أهل اللغة، فلزمهم على قولهم بأنه تعالى

(١) الكلمة من ب وفي الأصل والكفر به.

(٢) في ب لا فرق.

خالق لهذه الأشياء أن يسمى بهذه الأسماء، ولا شك أن من التزم جواز تسميته تعالى بهذه الأسماء القبيحة فقد كفر وألحد في أسمائه، بلا خلاف بين المسلمين. وكل مذهب يلزم عليه الكفر فلا إشكال في بطلانه.

فهذه أدلة من جهة العقل تقتضي نفي أفعال العباد عن الله سبحانه، وأنها غير مخلوقة منه تعالى.

وأما الأدلة السمعية التي توضح أن العباد هم الفاعلون لأفعالهم والموجودون لها دون الله فهي[1] أكثر من أن تحصى في مثل هذا الموضع، غير أنا نذكرها هنا ما فيه كفاية لمن أنصف.

[الأدلة السمعية ـ]

فقد وردت النصوص الصريحة المقتضية أن العباد هم

(١) في ب فهو.

الـذين يفعلون أفعالهم بـل صـرح أنهم الـذين يخلقـونهـا في مواضع :

[أولاً] : أحدها : قوله تعالى : ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً، وتخلقـون إفكاً**﴾[1]، فصـرح تعالى بـأنهم[2] يخلقون الإفك، ولا شك أن هذا خاص في أفعال العباد.

وقـوله تعـالى : ﴿**الله خالق كـل شيء**﴾[3] وقولـه : ﴿**كـل شيء خلقناه بقدر**﴾[4] ومـا جرى مجـراهما عـام، ولا إشكال أن العمل بالخاص واجب فيما يتنـاوله والعمـل بالعـام واجب فيما عدا ذلك، وهذا ظـاهـر عند العلمـاء.

والثاني : قوله تعالى : ﴿**فتبـارك الله أحسن الخالقين**﴾[5] فإن هذا يقتضي أن العباد خالقون لأفعالهم، إذ لو لم يكن في

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٧.

(٢) في ب الذين.

(٣) سورة الرعد آية ١٦.

(٤) سورة القمر آية ٤٩.

(٥) سورة المؤمنون آية ١٤.

الوجود من يخلق شيئاً من الأفعال سواه لما صح لهذا الكلام معنى أصلاً. ألا ترى أن قائلاً: لو قال إن هارون كان أكرم إخوة موسى لكان هذا القول يقتضي أن لموسى إخوة سوى هٰرون، حتى لو قال هذا القائل: ولم يكن لموسى أخ سوى هٰرون لعدَّه العقلاء من أهل اللغة مناقضاً في قوله هذا[1]، وكذلك لو قال كان عيسى عليه السلام أكرم أولاد مريم، وعلم الناس أنه لم يكن لها ولد سواه، فإن كلامه هذا يكون لغواً فاسداً لا صحة له على وجه من الوجوه... فإذا ثبت ذلك، وقد علمنا أن كلامه تعالى حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإنه[2] مصون من التناقض والفساد، علمنا أن قوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[3] يقتضي أن العباد خالقون لأفعالهم هذه، وإلا لم يكن للآية معنى معقول.

---

(١) هذا ساقط في ب.

(٢) في ب وأنه.

(٣) سورة المؤمنون آية ١٤.

ويجوز أن يقال: (إنهم خالقوا أفعالهم من حيث)[1] أنهم أوجدوها مقدرة لأن حقيقة الخلق في عرف المحصلين من أهل العلم[2] هو إيجاد الشيء مقدراً، وقد أوجدوا كثيراً من أفعالهم مقدرة، فجاز وصفهم بأنهم خالقون لها بالتقييد، وإن كانت هذه اللفظة أعني لفظة الخلق لا تطلق إلا لله عز وجل، ولكن متى أضيفت إلى العباد وجب تقييدها بأفعالهم، فيقال خالقون لأفعالهم.

والثالث: قوله في عيسى عليه السلام: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾[3] وقوله: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾[4]. فسمى فعله وتصويره خلقاً. فبان بهذا أن القرآن ناطق بنسبة خلق أفعال العباد إليهم... فثبت أن

---

(١) ما بين القوسين ساقط في ب.

(٢) في ب من أهل العدل.

(٣) سورة المائدة آية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران آية ٤٩.

الآيـات التي تقتضي[١] نسبـة خلق الأشيـاء كلهـا إلى الله عمـومات قـد خصتها هـذه الأدلة فـأخرجت أفعـال العباد من جملتها.

[ثانياً]: فأما نسبة هذه الأعمـال إليهم بلفظ الفعل فـأكثر من أن تحصى، ولا شك أن معنى الفعل هو ما وجد من جهة من كان قادراً عليه. فإذا كانت هذه الأشياء أفعالاً للعباد وثبت أنها موجودة من جهتهم (بطل)[٢] قـول من يقول أنهـا مخلوقة من الله تعالى فيهم.

فمن ذلك قوله: ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾[٣].

وقوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمـه الله﴾[٤].

---

(١) تقتضي ساقطة في ب.

(٢) الكلمة من ب وفي الأصل وبطل وهو خطأ من الناسخ.

(٣) سورة القمر آية ٥٢.

(٤) سورة البقرة آية ١٩٧.

وقوله: ﴿يعلمون ما تفعلون﴾[1].

وقوله: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[2].

وقال: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾[3].

وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾[4].

وقوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾[5].

---

(١) سورة الأنفطار آية ١٢.

(٢) سورة المائدة آية ٧٩.

(٣) سورة النحل آية ٣٣.

(٤) الآية ساقطة من ب وهي مِن سورة آل عمران آية ١٣٥.

(٥) سورة الأعراف آية ٢٨.

وقوله: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾[1].

وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

إلى غير ذلك مما يكثر عدُّه.

[ثالثاً]: وكذلك أخبر تعالى أنهم العاملون لهذه الأفعال، ولا شك أن العمل هو الفعل، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[3].

وقوله: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾[4].

---

(١) سورة هود آية ٣٦.

(٢) سورة الصف آية ٢.

(٣) سورة يس آية ٥٤.

(٤) سورة السجدة آية ١٧.

وقوله تعالى : ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [2] .

وقوله [تعالى] : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿من يعمل سوء . . . يُجز به﴾ [5] .

إلى غير ذلك مما يمتنع حصره في مثل هذا الموضع .

---

(١) سورة الصافات آية ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٠ .

(٣) سورة الزلزلة آية ٧ .

(٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٥) سورة النساء آية ١٢٣ .

فإذا ثبت ذلك صح ترادف الأدلة العقلية والسمعية وتعاضدها[1] على أن العباد هم المحدثون لأفعالهم. وأن الله تعالى ليس بخالق لها... وعلمنا بذلك أن الآيات المتضمنة لذكر خلق الله تعالى لجميع الأشياء قد خرجت منها أفعال العباد، بما ذكرنا من الأدلة المخصصة عقلاً وسمعاً.

وقول من يقول منهم: إن أفعال العباد وإن كانت خلقاً لله تعالى فإنها كسب للعباد، فلأجل اكتسابهم لها صح الأمر بها والنهي عنها، والمدح عليها والذم، والثواب عليها والعقاب، وصح تسميتها أعمالاً وأفعالاً، ولم يصح شيء من ذلك في ألوانهم وصورهم لما لم يكن كسباً، ولهذا افترقت الأفعال والصور والألوان!... فإنه غير صحيح لأنا نقول إن أردت بالكسب ما هو المعقول المعروف عند أهل اللغة، وهو إحداث الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر عن

(١) في ب وتعاضدهما، قال في المنجد العضد الناحية والناصر والمعين: وتعاضدوا تعاونوا. (ترتيب القاموس ج ٣ ص ٢٣٥).

الفاعل، فهذا صحيح. ولكن قولك أنه مخلوق من الله تعالى خطأ، لأنه إذا كان محدثاً من جهة الواحد منا فكيف يجوز أن يكون مخلوقاً لله تعالى. وإن أردت بالكسب ما يقوله الأشعرية[1] ويرومون الإنفصال به عن مقالة جهم[2]، لما لزم عليها من شنيع الجهالات، فتلك عبارة فارغة، لا معنى تحتها يعقل، لأنهم لا يمكنهم أن يفسروا الكسب بوجه

---

(١) هم أصحاب أبي الحسن عمرو بن أبي بشر الأشعري. يرون جواز تكليف ما لا يطاق، وأن الله تعالى مسموع، وجواز إثابة الكفار وتعذيب الأنبياء. (البحر الزخار ج ١ ص ٤٢، الشافي ج ١ ص ١٣٢).

(٢) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز رأس الجهمية، قال الذهبي الضال المبدع، قال الإمام عبد الله بن حمزة له مذاهب فاسدة لا يوافقه عليها أحد من الأمة، وقال الإمام أحمد بن يحيى المرتضى تفردوا - أي الجهمية - بأن لا فعل للعبد البتة بل كالشجرة. وفناء الجنة والنار. قتله سلم بن أحور وقيل نصر بن سيار سنة ١٢٨ للهجرة.
(ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٩٧. البحر الزخار ج ١ ص ٤٢ الشافي ج ١ ص ١٣١).

معقول إلا بأن يصيروا إلى مقالة جهم ويضيفوا أفعال العباد إلى الله تعالى من كل وجه. أو يقولوا بقول أهل العدل وينفوها عنه تعالى بكل وجه[1].

لأنا نقول لهم:[2] خلق الله للمعصية هو نفسها أو غيرها؟.

فإن قالوا: هو نفسها.

(قلنا: فكسب العبد لها هو نفسها أو غيرها؟.

فإن قالوا: هو نفسها)[3].. فقد جعلوا الكسب خلقاً والخلق كسباً ورجعوا بهما إلى شيء واحد، وإنما عبروا عنه بعبارتين مختلفتين وفي ذلك لحوقهم بجهم، ورجوعهم إلى مقالته، وتصريح منهم بأنه ليس هناك شيء سوى خلق الله تعالى، وإنما علقوا ذلك بالعبد تعليقاً فارغاً عن المعاني،

---

(١) في ب بكل حال.

(٢) لهم ساقطة في ب.

(٣) ما بين القوسين ساقط في ب.

وهـذا يؤدي إلى بطلان التحليف ونسبـة العبث إلى الله تعـالى في إيراد الأمر والنهي والـوعد والـوعيد. بـل في إنزال جميـع الكتب وإرسال كافة الرسل، لأن جميع هذه الأشياء إذا كانت منه لم يكن لشيء مما ذكرناه[1] معنى معقول.

وإن قالوا: إن خلق الله تعالى لأفعال العباد هو غيرها (أو كسب العبـاد لها هـو غيرهـا)[2]، وميَّزوا بين خلق الله تعـالى وكسب العبد تمييزاً معقولاً فجعلوا كل واحد منها غير الآخر، فقـد وافقـونـا فيمـا نقـول، ورجعـوا إلى الحق، ولعمـري إن الـرجوع إليـه خير من التمـادي في البـاطـل... ولهذا يحسن حينئذ التكليف، ويصح إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإيراد الأمـر والنهي والوعـد والوعيـد، لفائـدة معقولـة وهي الدعـاء للخلق إلى الخروج عما هم عليه من الكفر الذي هو منهم لا من الله، والدخول في الإسلام الذي هو فعلهم لا فعل الله.

---

(١) الهاء ساقطة في ب.

(٢) ما بين القوسين ساقط في ب.

فبان بهذا أنه لا يكون لمن أثبت الكسب مذهب معقول، إلا بأن يوافق جهماً أو يرجع إلى مقالة أهل العدل. فأما إثبات مذهب بين المذهبين فهو مما لا يعقل. وهذا ظاهر.

[من شبهات المخالفين]

احتج المخالف بأشياء... منها:

[١] قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾(١) وما أشبه ذلك.

والجواب: أن هذه عمومات مخصوصة بما ذكرنا من الأدلة التي اقتضت خروج أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة من الله سبحانه على ما تقدم.

[٢] ومنها قوله تعالى حكاية(٢) عن إبراهيم عليه السلام: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾(٣).

---

(١) سورة الزمر آية ٦٢.

(٢) في ب حاكياً.

(٣) سورة الصافات آية ٩٦.

قالوا: وهذا نص على أنه تعالى خالق لأعمال العباد.

والجواب: أنه عليه السلام إنما أراد والله خلقكم والحجارة التي تعملونها أصناماً: بدليل قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾[1] ولا شك أنه يريد الأصنام، وهذا هو السابق إلى الأفهام عند سماع هذا الكلام.

يحقق هذا أن إبراهيم عليه السلام أورد هذا الكلام محتجاً عليهم به، ومبطلاً لما هم عليه، ومثبتاً سفه حلومهم، وخطأ آرائهم، وذلك لا يصح إلا أن يريد بما ذكر[2] الأصنام، فبين لهم أن الله تعالى هو الذي خلقهم وخلق آلهتهم التي يعبدونها من دونه، وإذا كانت مخلوقة لم تستحق العبادة سيما وهي من نحتهم وتصويرهم، لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، ونبههم بذلك على أن المعبود يجب أن

---

(١) سورة الصافات الآيتين ٩٥، ٩٦.

(٢) في ب بما ذكره.

لا يكون مخلوقاً، ولا ضعيفاً عاجزاً[1] عن نفع من عبده أو ضره، وفي هذا حجة قاطعة... ولو أراد بذلك أن الله تعالى خلق أعمالهم لكانت الحجة لهم على إبراهيم عليه السلام، لا له عليهم، لأنه حينئذ يصير كأنه قال: أتعبدون ما تنحتون وهي الأصنام، والله خلقكم وخلق عبادتكم لها... فكان لهم أن يقولوا: إذا كان الله هو الذي خلق عبادتنا لها فما جُرمنا نحن، وما جنايتنا في ذلك، ولأي معنى جئت مبعوثاً إلينا أتريد منا نحن أن لا يخلق الله فينا شيئاً من عبادتها؟ فذلك ليس إلينا منه شيء، أم تريد أن تغير خلق الله فينا؟، فليس ذلك تحت مقدورنا.. فيكون كلام إبراهيم هذا على زعم المخالف أكبر عذراً لهم عنده، بل أظهر حجة لهم عليه، تعالى الله وتنزهت رسله صلوات الله عليهم عن ذلك، بل قد آتى الله إبراهيم عليه السلام الحجة البالغة على كل [من][2] حاجّه في شيء من الدين. وقال تعالى: ﴿**وتلك**

---

(١) في ب ولا عاجزاً.

(٢) كل ساقطة في ب. ومن ساقطة فيهما ولا يستقيم المعنى إلا بها.

حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾[1] ولا تكون الحجة بالغة على الكفار ولازمة لهم إلا إذا كان الكلام على ما قدّرنا أن المراد من الخطاب هو الأصنام، وذلك واضح لمن تأمله.

[٣] ومنها قوله تعالى: **﴿هل من خالق غير الله﴾**[2]، قالوا: فالله سبحانه نفى أن يكون معه خالق آخر، فيجب أن تنسب خلق أفعال العباد إليه.

والجواب: أنه تعالى إنما أراد هل من خالق لهذه البدائع العجيبة من السموات والأرض وما بينهما من النعم السابغة التي تقتضي وجوب شكره وعبادته سواه تعالى، (ولهذا قال: **﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾**[3] فأخبر أنه لا خالق لهذه الأرزاق سواه)[4] وذلك مما لا شك فيه، ولم يرد بذلك أنه لا خالق للكفر والنفاق سوى الله

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣.

(٢) سورة فاطر آية ٣.

(٣) سورة فاطر آية ٣.

(٤) ما بين القوسين ساقط في ب.

سبحانه، لأنه لو أراد ذلك لكان في هذا أعظم حجة للكفار عليه تعالى، ولا شك أنه أورد الآية مورد الاحتجاج عليهم، فكيف يعني بذلك ما تصير به حجته حجة عليه هو، وهذا ما[1] لا يخفى. فساده.

[٤] ومنها قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق﴾[2]. قالوا: فأخبر تعالى أن الشر مخلوق، وأمر بالإستعاذة منه.

والجواب: أن هذه الآية حجة على المخالف لا له. لأن الله تعالى ما أضاف الشر إلى نفسه، وإنما أضافه إلى مخلوقاته، وتقدير الكلام: من شر الذي خلق، ونحن بذلك نقول، لأن هذه الشرور التي أمرنا نتعوذ منها هي صادرة عن المخلوقات، لا عنه تعالى، وإنما كان يكون له به علقة[3] لو كان تعالى قال من الشر الذي خلق. فأما إذا أضاف الشر إلى

(١) في ب من ما لا يخفى.
(٢) سورة الفلق الآيتين ١، ٢.
(٣) العُلْقَة هي التعلق. (المنجد ص ٥٢٦).

شيء وذلك الشيء الذي صدر علة[1] الشر مخلوق منه تعالى فلا يدل على أن الشر مخلوق منه تعالى، ولا شك أن شياطين الأنس والجن هم من خلقه تعالى، والشر هو فعلهم... وهذا على نحو قوله فيما بعد: ﴿ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد﴾[2]، وقوله تعالى في السورة الثانية ﴿قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس﴾[3]. إلى آخرها. فالآية بنفسها حجة لنا على المخالف.

[٥] ومنها: قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله﴾[4]. قالوا: وهذا تصريح بأن جميع هذه الأفعال من الله سبحانه.

---

(١) في ب عنه.

(٢) سورة الفلق الآيتين ٣: ٥,

(٣) سورة الناس الآيات من ١: ٤.

(٤) سورة النساء الآية ٧٨.

والجواب: أن هذه الآية لا حجة لهم فيها لأن المراد بالحسنات نعم الدنيا، وبالسيئات محنها وشدائدها، وهي التي كان الكفار يضيفونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التطيّر به على ما ورد به الخبر[1]؛ أنهم كانوا إذا نزل بهم خصب وصحة ونعمة قالوا هذه من الله[2]، وإذا نزل بهم جدب ومرض وموت ومحنة قالوا: هذا شؤم محمد، فرد الله تعالى عليهم قولهم هذا بقوله: ﴿**قل كل من عند الله**﴾.

فأما المعاصي من الكفر والنفاق وما جرى مجرى ذلك فلم يكن القوم ينسبون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون رد الله تعالى عليهم نازلاً فيه، وهذا أمر معلوم لا لبسة فيه... وكيف يجوّز أن يقول الله تعالى بالمعاصي أنها من عنده، وقد صرح في القرآن الكريم بنفيها عن أن تكون من عنده وكذّب اليهود لما قالوا ذلك بقوله:

(١) الخبر ساقطة في ب.

(٢) في ب من عند الله.

﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[1].

فحكى سبحانه عن اليهود أنهم يكذبون على التوراة ويقولون هذا من عند الله، وكذّبهم تعالى بقوله: **﴿وما هو من عند الله﴾**. ولو لم يكن في القرآن دلالة على نفي هذه المخازي عن الله سبحانه سوى[2] هذه الآية لكفى بها.



(١) سورة آل عمران آية ٧٨

(٢) في ب إلا هذه.

فصل

فيما جاء في ذلك عن الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين.

اعلم أن الأقوال متظاهرة عن علماء الصحابة والتابعين بنفي هذه المعاصي عن الله، وإضافة[1] أفعال العباد قاطبة إليهم دونه تعالى، وذلك واضح عند من له بحث عن الأخبار ومعرفة بالسِّيَر والآثار. مطابقة منهم لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نفى هذه المعاصي عن الله تعالى بقوله: (لبيك وسعديك الخير بيدك، والشر ليس إليك) وغير ذلك مما ورد عنه عليه السلام.

فصرح بنفي الشر الذي يجب نفيه عن الله سبحانه، فأما الشر الذي هو محن الدنيا وشدائدها كالموت والمرض

---

(١) في ب وأضافوا.

والفقر، وما جرى هذا المجرى فإنه فعل حسن في الحكمة وجائز فعله من الله سبحانه وفيه نزل قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾[1]. فلا يصح تعلق المخالف بذلك في إضافة المعاصي إلى الله تعالى، لأن المراد به ما بيّنا من شدائد الدنيا.

[أقوال الصحابة]

[١] - فالمروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال: (أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمن الشيطان ومني والله ورسوله بريئان من ذلك)[2]. وهذا مشهور عنه عند علماء الإسلام، فقد أضاف الصواب إلى الله تعالى من حيث هدى إليه، وأضاف الخطأ إلى نفسه من حيث أنه

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥.

(٢) البحر الزخار ج ١ ص ٤٥.

فعله، وإلى الشيطان من حيث أوقعه فيه.

[٢] - والمروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أن كاتباً له كتب هذا ما أرى الله عمراً، فقال: امحه واكتب هذا ما رأى عمر، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأً فمن عمر): فأضاف الصواب إلى الله تعالى من حيث هدى إليه، وأضاف الخطأ إلى نفسه من حيث أنه فعله.

[٣] - والمروي عن عثمان: (أنه لما حُصِرَ[١] في الدار كان القوم يرمونه ويقولون الله يرميك، فيقول كذبتم لو رماني الله ما أخطأني)[٢]. فصرح بنفي أفعال العباد عن الله تعالى.

---

(١) حُصِرَ كعني فهو محصور، حَصَر حَصراً ضيق عليه وأحاط به. (ترتيب القاموس ج ١ ص ٦٥٢، المنجد ص ١٣٧). ولعل الأصح حوصر. وهو المراد.

(٢) البحر الزخار ج ١ ص ٤٥.

[٤] ـ والمروي عن عبد الله بن عباس[1] رحمة الله عليه أنه قال: (من أضاف إلى الله ما تبرأ منه وتنزَّه عنه، فقد افترى على الله إثماً عظيماً).

[٥] ـ وروي عنه أنه قال: (قاتل الله أقواماً يعملون بالمعاصي، ويزعمون أنها من الله).

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة الصحابي الجليل، ولد بمكة سنة ٣ قبل الهجرة، ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وروى عنه الأحاديث، وشهد مع الإمام علي عليه السلام معركتي الجمل وصفين، ونصح الحسين بن علي عليهما السلام بالخروج إلى اليمن بدلاً من العراق، كف بصره آخر عمره. آذاه عبد الله بن الزبير كثيراً فسكن الطائف هرباً منه، وتوفي فيه سنة ٦٨ للهجرة. قال ابن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس». أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر) فحفظها في مرة واحدة وهي ثمانون بيتاً.
(صفة الصفوة ج ١ ص ٣١٤، حلية الأولياء ج ١ ص ٣١٤). وفي النسخة ب عبد الله بن العباس.

[٦] - وروي عنه أنه قال: (ثنتان من الله وثنتان[1] من الشيطان، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً).

[٧] - والمروي عن ابن مسعود[2] رحمه الله: (أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً ولم يدخل بها،

---

(١) إثنان، المؤنث ثنتان واثنتان (المنجد ص ٧٥).

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، كان خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمين، وصاحب سره، نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء مليء علماً، ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان وولي بيت المال فيها، أمره عثمان بتسليم أموالاً طائلة لأقاربه فرفض فضربوه حتى كسرت أضلاعه وعزل من عمله، توفي في المدينة سنة ٣٢ للهجرة عن نحو ٦٠ عاماً. كان قصيراً جداً، يكاد الجلوس يوارونه، وكان يحب الإكثار من التطيب فإذا خرج من بيته عرف جيرانه الطريق أنه مر من طيب رائحته.
(حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤، البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧).

ثم مات عنها، ما الواجب لها.؟. فأقام شهرا لا يجيب عن هذه المسألة، ثم قال: أقـول فيها بـرأيي فإن كـان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن ابن أم عبد[1] أرى لها مهر نسائها، ولا وكس[2] ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث). وهذه قضية مشهورة عند الفقهاء.

وقد قدمنا ما روي عن عمـر في ذلك، وقـدمنا شيئـاً فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأتي متمماً في بـاب القضاء والقدر إن شاء الله، فإنه بذلك الموضع أليق.

[أقوال التابعين]

فأما التابعون فالروايات عنهم كثيرة.

[١] ـ فالمروي عن الحسن البصري رحمة الله عليه، أنه (كان يقـول: في قولـه تعالى: ﴿إنـا كـل شيء خلقنـاه

(١) في ب فمن ابن آدم.

(٢) الوكس النقصان والتنقيص (ترتيب القاموس ج ٤ ص ٦٥١).

بقـدر﴾[1] قال: والله مـا أراد بهـا إلا خلق السمـاوات والأرض ومـا بينهمـا مـن خلق، والله مـا أراد بـهـا المعاصي).

[٢] - وعنـه أنـه كـان يقـول: (اللهـم العن أنت ومـلائكتـك ورسلك أقواماً يعملون بالمعاصي ثم يـزعمون أنهـا من الله).

[٣] - وروي عنه أنه كان يقول: (مـا أصبح بجنبـات أرضكم أحد يؤخذ بجرم جاره)[2] فكيف تحملون ذنوبكم على ربكم، حسب امـرء هلكـاً أن يفسق ويفجـر ويـأتي الفـواحش، فيمهله الله ويـذره في طـغيـانـه سـليم الجـوارح، أن يكذب عليـه؛ ثم قال: والله مـا هـم إلا الـذين قـال رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم:

---

(١) سورة القمر آية ٤٩.

(٢) في ب هكـذا (ما أصـح بجنان أرضكم أحـد يؤخذ بجـرم جـاره) وفي الأصل (ما أصبح بجنبات أرضكم أحـد يؤخذ بجـريم جاره) ولعل الأصح ما أثبتناه.

مجوس أمتي القدرية، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم، فإنهم شر البرية حق على الله تعالى أن يحشرهم مع الدجال). إلى غير ذلك مما هو عن الحسن رحمه الله.

[٤] - وروي أن الحجاج بن يوسف[1] كتب إلى أربعة من العلماء وهم الحسن بن أبي الحسن البصري

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد سفاك خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وكانت ولادته سنة ٤٠ للهجرة، أمره عبد الملك بن مروان بقتال عبد الله بن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير، وقتل عبد الله وفرق جموعه، ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، كان سفاكاً سفاحاً بإتفاق معظم المؤرخين، مات بواسط سنة ٩٥ للهجرة، قتل كثيراً من العلماء والفضلاء حتى بلغ عدد قتلاه ١٢٠ ألف، ومن قتلاه سعيد بن جبير وابن مطيع، وختم على أعناق كثير من الصحابة منهم جابر بن عبد الله الأنصاري، وتوفي وفي سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة.

(معجم البلدان ج ٨ ص ٣١٢، وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٣، مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٣ : ١١٩. كتاب الشافي للمنصور بالله عبد الله بن حمزة ج ١ ص ١٨٤).

وواصـل بن عـطاء[1] وعمـرو بن عبيـد[2] وعـامـر

---

(1) واصـل بن عطاء الغـزّال، أبو حـذيفة، من مـوالي بني ضبة أو بني مخـزوم. رأس المعتزلـة ومن أئمة البلغـاء والمتكلمين. كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنب الراء في خطابه.
كان مِنْ بايع محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكيـة في قيامـه على أهـل الجور. لم يكن غـزالاً وإنما لقب بـه لتردده على سـوق الغزالين بالبصرة.

له تصانيف منهـا أصناف المـرجئة، ومعـاني القرآن، والسبيـل إلى معرفة الحق والتوبة. ولد بالمدينة سنة ٨٠ للهجرة ونشـأ بالبصـرة، وتوفي سنة ١٣١ للهجـرة.

(وفيات الأعيـان ج ٢ ص ١٧٠، مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٨، أمالي المرتضى ج ١ ص ١٣١).

(٢) عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، أبو عثمـان البصري، ولـد سنة ٨٠ للهجرة، وتوفي سنة ١٤٤ للهجـرة. شيخ المعتـزلة في عصـره ومفتيهـا، وأحد الـزهاد المشهـورين، اشتهـر بعلمـه وزهـده، فيـه قـال المنصور العباسي: «كلكم طالب صيد غيـر عمرو بن عبيـد، له رسـائل وخطب وكتب منها الرد على القدرية، والتفسير. حج أربعين سنة مـاشياً=

الشعبي[1] يسألهم عن القضاء والقدر[2] فأجابه أحدهم: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: أتظن الذي نهاك دهاك، إنما دهاك أسفلك، وأعلاك، وربك بري من ذاك... وأجابه الثاني: لا أعرف فيه إلا ما قاله علي عليه السلام فإنه

=ومعه بعيره يركبه الفقير والضعيف. توفي بمران قرب مكة، ورثاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه.

(وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٤، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٤، الحور العين ص ١١٠، أمالي المرتضى ج ١ ص ١١٧).

(١) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، أبو عمرو، ولد لسبعة أشهر بالكوفة سنة ١٩ للهجرة ونشأ فيها، راوية من التابعين، سئل عما بلغ إليه حفظه فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، وكان فقيهاً شاعراً، استقضاه عمر بن عبد العزيز، توفي فجاة في الكوفة سنة ١٠٣ للهجرة.

(الوفيات ج ١ ص ٢٤٤، حلية الأولياء ج ٤ ص ٣١٠).

(٢) في حاشية نخ ب (نسخة: فقال أخبروني عن المعاصي هل هي من فعل العبد على الحقيقة، أم فعل الله فيه).

قال: أتظن الذي فسح لك الطريق لزم عليك المضيق... وأجابه الثالث: لا أعرف فيه إلا ما قاله علي عليه السلام فإنه قال: إذا كانت المعصية حتماً كانت العقوبة عليها ظلماً... وأجابه الرابع: لا أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: ما حمدت الله عليه فهو منه، وما استغفرت الله منه فهو فعلك... فلما بلغ ذلك الحجاج قال: قاتلهم الله لقد أخذوها من عين صافية.

[٥] - وروي عن مالك بن دينار[1] أنه كان يقول: «لا تنحلوا ربكم الذنوب فيضاعف لكم العذاب، ولكن استغفروه وتوبوا إليه فإنه رحيم ودود.»

---

(١) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من رواة الحديث، كان ورعاً يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي في البصرة سنة ١٣١ للهجرة.

(وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤٠، حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٥٧).

[٦] - وروي عن عبيد الله بن زياد[١] لعنه الله قال لعلي بن الحسين[٢] عليه السلام: لما حُمِل إليه بعد قتل

---

(٤) عبيد الله بن زياد بن أبيه، والٍ جبار خطيب، ولد بالبصرة سنة ٢٨ للهجرة، عينه معاوية أميراً على البصرة سنة ٥٥ للهجرة، وأقره يزيد عليها سنة ٦٠ للهجرة، وكتب إليه: «بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن وخذ على التهمة» حدثت فاجعة كربلاء في أيامه أمر بقتل الحسين وقتل أهله وأن يوطأ بالخيل ويداس فوطئته الخيل حتى رضوا صدره وظهره. ولما مات يزيد سنة ٦٥ للهجرة بايع أهل البصرة عبيد الله ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه، وفر إلى الشام، ثم عاد إلى العراق، فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثار الحسين عليه السلام فقتله إبراهيم في خازر من أرض الموصل، بعد تفرق جيشه، سنة ٦٧ للهجرة، وهو المعروف بإبن مرجانة، وهي أمه.
(الطبري ج ٦ ص ١٦٦، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٢٩).

(٥) الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين، أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، ولد في المدينة سنة ٣٨ للهجرة وتوفي فيها سنة ٩٤ للهجرة، أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً فكانوا نحو مائة بيت، قال بعض =

الحسين عليه السلام ألم يقتل الله علي بن الحسين؟

= أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين، وقال محمد بن إسحق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم. له الصحيفة السجادية في الدعاء والمناجاة، كان عابداً زاهداً ورعاً تقياً، عرف بالإمام السجاد زين العابدين. قتل كل أفراد أسرته الذين كانوا مع أبيه الحسين عليه السلام في كربلاء عداه لمرض كان فيه. وجميع ذرية الحسين (ع) منه. وفاجعة كربلاء معروفة ومشهورة. من أدعيته ومناجاته «يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عيني، وانتحبت حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنتشر قدماي، وركعت لك حتى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري، وشربت ماء الرماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني، ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك، ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي، وإن كنت تغفر لي حين استوجب مغفرتك، وتعفو عني حين أستحق عفوك، فإن ذلك غير واجب لي باستحقاق، ولا أنا أهل له بإستيجاب، فإن تعذبني فأنت غير ظالم لي، إلهي فإذ قد تغمدتني بسترك فلم تفضحني، وتأنيتني بكرمك فلم تعاجلني، =

قال: قد كـان أخي يسمى علياً وكـان أكبر مني، وإنمـا قتله النـاس لا الله. قال: بـل الله قتله. قال: فـالله إذاً قتل عثمان بن عفان، فانقطع اللعين عبيد الله بن زياد.

وإن كـان ما قـاله علي بن الحسين عليهمـا السلام هـو مـذهب الأئمة الـطاهرين (والعلمـاء العاملين من أهـل البيت)[1] سلام الله عليهم أجمعين.

وحلمت عني بتفضلك فلم تغير نعمتك علي، ولم تكـدر معروفـك عندي، فارحم طول تضرعي وشدة مسكنتي، وسوء مـوقفي، اللهم صـل علـى محمـد وآلـه وقنـي المعـاصي واستعملني بـالـطاعـة، وارزقني حسن الإنابة، وطهرني بالتوبة».

وغني عن البيان أن الإمام السجـاد زين العابـدين علي بن الحسين هو والد الإمام زيد بن علي والإمام محمد الباقر عليهم السلام.

(وفيـات الأعيـان ج ١ ص ٣٢٠، طبقـات ابن سعـد ج ٥ ص ١٥٦، اليعقوبي ج ٣ ص ٤٥).

(١) ما بين القوسين ساقط في نخ ب.

[قول العلماء]

ومن روى القول بالعدل وتنزيه الله من هذه الخبائث من سائر أهل العلم أكثر من أن يحصى عددهم، بل الإجماع منعقد على ذلك من الصحابة، ألا ترى أنه لما اشتهر ما روي أن أبا بكر قاله وظهر عنه وعن ابن مسعود ما قاله في ذلك لم ينكر ذلك أحد، بل تلقاه الكل بالقبول. وإن كان الصحابة ومن بعدهم من علماء المسلمين ما نفوا عن الله تعالى من ذلك إلا ما نفاه عن نفسه سبحانه بما قدمنا ذكره وبقوله: **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار﴾**[1]. فأخبر تعالى أنه لم يخلق السماء والأرض باطلاً[2]، ولا خلق ما بينهما باطلاً، وذلك تصريح بأنه لم يخلق الباطل الموجود بينهما.

---

(١) سورة ص آية ٢٧.

(٢) باطلاً ساقطة في ب.

الباب الثالث



في الارادة



إعلم أن مذهب الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام ومن طابقهم من علماء المسلمين هو أن الله تعالى يريد الطاعات من أفعال العباد الواجب منها والمندوب، ولا يريد شيئاً من المعاصي، بل يكره جميعها. وذهبت المجبرة[1] إلى أنه تعالى يريد المعاصي كما يريد الطاعات.

والذي يدل على صحة مذهب أهل البيت عليهم السلام هو أن إرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يأتي بالقبيح، لعلمه بقبحه وغناه عنه، وعلمه بأنه غني عنه، ومن كان بهذه الأوصاف فإنه لا يفعل[2] القبيح.

ألا ترى أن الواحد منا إذا قيل له إن صدقت أعطيناك درهماً، وإن كذبت أعطيناك درهماً، فإنه لا يختار الكذب

---

(١) في ب الجبرية.

(٢) في ب لا يختار.

على الصدق، وليس ذلك إلا لعلمه بقبحه وغناه بالصدق عنه.

وإنما قلنا إرادة[1] القبيح قبيحة لما نعلمه من أن الواحد منا إذا كان معروفاً بالصلاح والعفة وكنا نعرف[2] منزلته لذلك، ثم أخبرنا عن نفسه بأنه يريد كلما يجري في البلد من الظلم والفساد[3]، فإن منزلته تسقط عندنا لأجل ذلك، وليس ذلك إلا لأنه يأتي[4] قبيحاً لما أراد هذه القبائح... فصح بهذا أن إرادة القبيح قبيحة، فإذا كان الله تعالى أعلم العلماء بقبح القبيح وأغناهم عن فعله وأعلمهم بغناه عنه، لم يجز منه تعالى أن يريد القبيح.

[١] ـ وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً

---

(١) في ب إن إرادة.

(٢) في ب وكان يعرف، والأصل أصح.

(٣) في ب من المخازي والظلم والفساد.

(٤) في ب أتى قبيحاً.

للعباد﴾[1]، وقال: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾[2].
وهذان نصان صريحان بأنه تعالى لا يريد المعاصي قاطبة، لأن كل معصية فهي ظلم، إما لنفس العاصي أو لغيره، والله تعالى نفى بهاتين الإرادتين إرادة كل ظلم عن نفسه، لأنه أدخل حرف النفي وهو «ما»[3] على لفظ الظلم، وهي نكرة، وذلك يقتضي العموم والإستغراق لكل ظلم كقول القائل: «ما في الدار رجل» فإنه يقتضي نفي كل من يقع عليه إسم الرجل عن الدار، وهذا ظاهر.

[٢] ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد﴾[4]. فنفى عن نفسه محبة الفساد، والمحبة

---

(١) سورة غافر آية ٣١.
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٨.
(٣) في ب الذي هو ما.
(٤) سورة البقرة آية ٢٠٥.

هي الإرادة، بدليل أنه لا يجوز إثبات أحد اللفظين مع نفي الآخر[1]، فلا يجوز أن يقول قائل: أريد أن تأكل طعامي وما أحب أن تأكله، ولا يقول: أحب أن تأكل طعامي ولا أريد أن تأكله، ولو قال ذلك لعد مناقضاً، جارياً مجرى من يقول أريد أن تأكل طعامي وما أريد أن تأكله، فإن هذا يكون مناقضاً في كلامه. كذلك المحبة والإرادة، وليس ذلك إلا لأن معنى المحبة والإرادة واحد. فصح بهذا أن الله تعالى لا يريد شيئاً من الفساد.

[٣] - وكذلك قوله تعالى: **﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر﴾**[2]. فنفى عن نفسه تعالى الرضى بالكفر، ولا شك أن الرضى هو الإرادة، بدليل أنه لا يجوز إثبات أحدهما مع نفي الآخر، فلا يجوز

---

(١) في ب (بدليل أنه لا يجوز أن يثبت بأحد اللفظين وينفي بالآخر).
(٢) سورة الزمر آية ٧.

أن يقول قائل: أريد دخولك داري ولا أرضاه، ولا أن[1] يقول: أرضى دخولك داري ولا أريده. وهذا يدل على أن معنى اللفظين واحد على ما تقدم بيانه، فدل ذلك على أن الله سبحانه لا يريد شيئاً من الكفر.

[٤] ـ وكذلك قوله تعالى: **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء، كذلك كذب الذين من قبلهم، حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن، وإن أنتم إلا تخرصون﴾**[2].

وهذه الآية تدل على فساد مذهب المجبرة[3] من خمسة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى حكى صريح مذهبهم (عن

---

(١) في ب ولا يجوز أن يقول.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨.

(٣) في ب الجبرية.

المشركين، ورد عليهم وكذّبهم)[1] بقوله: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾.

والثاني: قوله: ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ والبأس العذاب، والعذاب لا يستحق إلا على فعل الباطل والنطق به.

والثالث: قوله: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾. وهذا لا يقال إلا للمبطل لأن المبطل يقول ما لا يعلمه.

ورابعها: قوله: ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾. ولا شك أن هذا ذم لهم بإتباعهم الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً.

وخامسها: قوله: ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ أي تكذبون، يدل عليه قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾[2] معناه لعن الكذابون.

---

(١) ما بين القوسين ساقط في ب.
(٢) سورة الذاريات آية ١٠.

فيدل ذلك على عظيم خطأ من يقول بمثل مقالتهم، ولا شك أن المجبرة يقولون بذلك، ولا يمتنع أحدهم من أن يقول لو شاء الله ما أشرك مشرك ولا كفر كافر، فتكون الآية رداً على كل من قال بذلك[1].

وصحت الدلالة على أن الله سبحانه قد سألهم الإيمان والانتقال عن الشرك لكنه تعالى شاء أن يؤمنوا بإختيار أنفسهم، ويؤثروا مرارة الطاعة على حلاوة المعصية، كما يختار العليل العاقل الدواء النافع مع مرارته على الطعام الضار مع لذاذته[2]، فيستحقوا[3] بذلك جزيل الثواب في الجنة التي حفت بالمكارة، ويسلموا به من أليم العقاب في النار التي حفت بالشهوات... فلهذا أمكنهم[4] من الإيمان وأقدرهم عليه، وبيّنه لهم، ورغبهم فيه، ولم يشأ تعالى أن

---

(١) في ب من يقول بذلك.

(٢) لذاذاً ولذاذة الشيء صار شهياً، المنجد.

(٣) في ب فيستحق بذلك الثواب.

(٤) في ب مكنهم.

يدخلهم في الإيمان جبراً، ولا يحملهم عليه إضطراراً وقهراً، بأن يخلقه فيهم كما خلق فيهم ألوانهم[1]، ولا بأن يجبلهم[2] عليه كما جبلهم على صورهم[3]، ولو شاء تعالى ذلك على هذا الوجه لما امتنع منه إنس ولا جان، ولكنه لو فعل تعالى ذلك لبطل التكليف، ولاستحال الأمر والنهي، ولسقط المدح والذم والثواب والعقاب لأن شيئاً من ذلك لا يحسن وروده فيما تولى الله خلقه فيهم واضطرهم إليه. ألا ترى أنه لا يحسن شيء منه في الألوان والصور.

فظهر بما ذكرناه أن المشيئة على ضربين مشيئة تمكين واختيار، ومشيئة جبر واضطرار، والله تعالى قد شاء من العباد كلهم الإيمان، وأراد منهم العدل والإحسان، ولكن مشيئة الاختيار لأنه تعالى مكنهم من ذلك كله وشاء منهم أن يختاروا تحمل الصبر على فعلهم كما قدمنا بيانه، ولم يشأ تعالى أن

---

(١) في ب ألوانهم فيهم.
(٢) في ب ولا أن يحيلهم.
(٣) في ب على ألوانهم وصورهم.

يجبرهم على شيء مما أمرهم به، ولا أن يضطرهم إليه إضطراراً يزيلهم عن مقام الإختيار، إذ لو فعل ذلك لهَدَّ أركان التمكين، وهدم بنيان التكليف، كما سبق بيانه.

فإذا عرفنا هذا الأصل، ورأينا بعض آيات القرآن الكريم تدل على أنه تعالى قد شاء من المكلفين الإيمان، وبعض آياته تقتضي أنه لم يشأ منهم أو من بعضهم ذلك، وقد علمنا أنه كتاب عزيز[1] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[2] وأنه مصون من التناقض، بل يؤيد بعضه بعضاً. علمنا أن المشيئة التي أثبتها هي غير المشيئة التي نفاها، إذ لو كان المرجع بهما إلى شيء واحد لتناقض الكلام. فيجب حمل الآية التي تدل على أنه قد أراد من جميع المكلفين الطاعات وشاء من كافتهم الخيرات على أن المراد بها مشيئة الإختيار، إذ لا يصح حملها على مشيئة الجبر، لأنه لو شاء ذلك منهم جبراً لوقع لا محالة من

(١) في ب كريم.
(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

جميعهم، وقد علمنا أنه لم يقع من أكثرهم... ويجب حمل الآيات المقتضية أنه تعالى لم يشأ ذلك أو لم يرده[1]، على أن المراد بها مشيئة الإضطرار، إذ لو حمل ذلك على مشيئة الاختيار لتناقض الكلام. ومتى حملت[2] الآيات على هذا الوجه سلمت من التناقض.

فإذا تقرر هذا الأصل خرج الجواب عما تعلقت به المجبرة من قوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لآمن مَنْ في الأرض كلهم جميعاً﴾**[3] وقوله تعالى: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾**[4]. وقوله: **﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾**[5]. وأمثال ذلك، لأن المراد بهذه الآيات كلها هو أنه لو شاء جبرهم

---

(١) في ب ولم يرده.

(٢) الكلمة من ب وفي الأصل حمل.

(٣) سورة يونس آية ٩٩ وتكملتها في ب **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**.

(٤) سورة السجدة آية ١٣.

(٥) سورة الأنعام آية ١٣٧، وفي ب **﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾** وهي في سورة الأنعام آية ١١٤.

وقهرهم بالاضطرار لكان ذلك تحت مقدوره تعالى، ولكنه لم يفعل في دار التمكين والتكليف لما بينا.

وصح أنه سبحانه لا يريد شيئاً من المعاصي لما تقدم بيانه، بل قد صرح سبحانه في القرآن الكريم بأنه كاره لها، لأنه لما ذكر أنواع المعاصي بقوله في سورة بني إسرائيل:[1] ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾، ﴿ولا تقربوا الزنى﴾، ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾، ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾، ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً...﴾[2] الآيات بكمالها ثم قال عقيبها: ﴿كل ذلك كان سيئة عند ربكم مكروهاً﴾. وإذا كان كارهاً لجميعها لم يجز أن يكون مريداً لشيء منها، لأنه يتنافى أن يكون مريداً لشيء كارهاً له.

---

(١) هي سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء قبل وبعد الآية ٣٣.

وكذلك قد وردت السنة الطاهرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله سبحانه كاره للمعاصي . . . فمن ذلك :

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام ، والضحك بين المقابر) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إن الله يحب معالى** الأمور ويكره سفسافها) . .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **(إن الله يحب أن تؤتى** رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **(وكره لكم قيل وقال** وكثرة السؤال ، وإضاعة المال) .

فإذا كانت هذه القبائح مكروهة لله سبحانه لم يصح أن يكون مريداً لها ، لتنافي [1] ذلك وهذا ظاهر .

[١] ـ وقد تعلق المخالف بأشياء منها أنه لو جرى في

---

(١) في ب لتناقض الكلام وتنافيه في ذلك .

مُلكِ الله سبحانه ما لا يريده بل ما يكرهه، وامتنع حصول ما يريده، لكان ذلك دليلاً على عجزه تعالى.

والجواب: أن العجز لا يثبت لأحد إذا امتنع (فعل غيره إلا إذا أراد مغالبة فعل ذلك الغير فلم يقدر... وهذه القضية مفقودة)[1] فيما بين الله سبحانه وبين عباده، لأنه تعالى لم يرد مغالبتهم، ولا وقوع الطاعة منهم بطريق الجبر والاضطرار، بل أراد تعالى تمكينهم من الطاعات، والقيام بالتكليف باختيارهم، وأمهل من عصاه منهم وأنظره إلى اليوم الموعود[2]، فإقدامهم مع ذلك على ما يكرهه وامتناعهم عما يريده منهم لا يدل على عجزه تعالى عن ذلك، ولا على إرادته لما جرى منهم من ذلك. كما أن السيد إذا قال لعبده اعمر هذه الدار في هذا الشهر، فإن اجتهدت في عمارتها اعتقتك بعد تمام الشهر، وإن لم تفعل شيئاً مما أمرتك عاقبتك بعد تمام الشهر بأنواع العقوبات، وقد انظرتك هذه

---

(٢) في ب ما بين القوسين ساقط.

(٣) في ب يوم القيامة.

المدة لأنظر كيف تصنع . . . فإنه إذا توانى في أمر سيده وقصّر ولم يمتثل ما رسمه عليه لم يدل ذلك على عجز السيد عن أخذه وانتقامه، ولا يدل أيضاً[1] على إرادة السيد لتقصيره، بل يدل على حلمه[2] وإمهاله فكذلك ما نحن فيه . . . وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا**﴾[3]. وبقوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾[4] . . . وهذا بيِّن لمن تأمله.

[٢] - ومما تعلق به المخالف قوله تعالى: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**﴾[5].

---

(١) في ب أيضاً ساقطة.

(٢) في ب تخليته.

(٣) سورة الكهف آية ٥٨.

(٤) سورة إبراهيم آية ٤٢.

(٥) سورة الإنسان آية ٣٠، وسورة التكوير آية ٢٩.

قالوا: فالله سبحانه علق مشيئة الخلق بمشيئته وأخبر أنهم لا يشاءون شيئاً [1] إلا من بعد أن يشاء تعالى، وفي ذلك كونه شائياً للمعاصي ولجميع أفعال العباد.

والجواب: أنه ليس فيما ذكروه دلالة على ما ذهبوا إليه من إرادته سبحانه للمعاصي أو مشيئته لها، لأن الله سبحانه ما ذكر ذلك إلا في الطاعات دون المعاصي، لأنه ذكر ذلك من القرآن الكريم في موضعين: **أحدهما**: في سورة الإنسان فقال تعالى: **﴿إن هذه تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾** [2]. والمراد ما تشاءون اتخاذ السبيل إلى الله إلا أن يشاء الله. ولا إشكال في أن اتخاذ السبيل إليه طاعة مرضية.

والموضع الثاني: في سورة التكوير وهو قوله تعالى: **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب**

---

(1) في ب شيئاً ساقطة.

(2) سورة الإنسان الآيات من ٢٨ : ٣١.

العالمين﴾[1]. معناه ما تشاءون الإستقامة التي هي طاعة بلا شك إلا أن يشاء الله لكم ذلك.

ونحو هذا الكلام في معنى الآيتين مروي عن ابن عباس رحمه الله، ولا شك في أن مشيئته تعالى للطاعات متعلقة على مشيئة المطيعين لها، بل أمره بذلك وترغيبه فيه سابق على مشيئتهم لها، ولسنا نختلف في أن أحداً لا يشاء الطاعات إلا بعد مشيئة الله سبحانه، وإنما الخلاف في المعاصي، وليس في القرآن الكريم أن أحداً لا يشاء شيئاً من المعاصي إلا أن يشاءه الله له... فيسقط[2] ما تعلقوا به... وقد بيَّنا فيما تقدم أنه تعالى لا يريد شيئاً من المعاصي، ولا يشاؤها، مما فيه[3]، مقنع لمن أنصف.

[٣] - ومما تعلقوا به الآيات التي يذكر فيها المشيئة

---

(١) سورة التكوير الآيات من ٢٧ : ٢٩.

(٢) في ب فسقط.

(٣) في ب بما فيه.

مطلقة، نحو قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾[1].

وقوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾[2].

وقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾[3].

وقوله: ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾[4]. وما أشبه ذلك.

وظنوا أن لهم فيه حجة على مذهبهم.

والجواب: ما تقدم بيانه أنه تعالى إنما أراد بذلك مشيئة القهر والإضطرار. معناه لو شاء جبرهم على الخير ومنعهم من الشر بطريقة القهر لقدر على ذلك، وهذا ما لا شبهة

(١) سورة الأنعام آية ١١٢.
(٢) سورة يونس آية ٩٩، وهي غير موجودة في نخ ب.
(٣) سورة السجدة آية ١٣.
(٤) سورة الأنعام آية ١١١.

فيه[1]، وذلك لا ينفي[2] أن يكون تعالى مريداً للطاعات منهم على وجه اختيارهم لها على ما تقدم تفصيله.

[٤] - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئاً، أولئك الذيم لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾[3]. قالوا: فالله سبحانه أخبر أنه يريد فتنة قوم، ولا يريد طهارة قلوبهم، وخبره صدق. وهذا يدل على خلاف ما ذهبتم إليه.

ولنا عن ذلك جوابان: أحدهما: أنه لا يصح من أحد ممن يضيف إلى الله سبحانه القبائح من أفعال العباد أن يستدل بشيء من كلامه تعالى على صحة شيء ولا على فساده، لأنه إذا كان يعتقد أن كل كذب وجد في الدنيا من أولها إلى آخرها فهو خلق الله سبحانه، لا خالق له غيره، ولا

(١) في ب وذلك مما لا شبهة فيه.

(٢) في ب وذلك ينفي، والصحيح لا ينفي.

(٣) سورة المائدة آية ٤١.

موجد له سواه، فمن أين نثق بشيء من أخباره؟! وما الأمان من أن يكون هذا الذي استدلوا به كذباً من جملة ما يجري منه. ألا ترى أن من عرف منه التساهل في الكذب من الناس لم يوثق بكلامه، وإن كان يصدق كثيراً، حتى إن الناس يشكون في صدقه ولهذا قيل:

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه
إذا ما أتى بالصدق ألا يُصدقا

فكيف ممن لم توجد كذبة إلا منه[1]، وهذا ما لا سبيل لهم إلى دفعه إلا بالرجوع عن هذا المذهب، ونفي كل كذب وقبيح من الأفعال عن الله تعالى، ونسبته إلى عصاة الخلق.

والثاني: أنه لو صح منه الإستدلال بذلك فليس فيما ذكره دلالة على ما ادعاه، لأن الفتنة لفظة مشتركة بين معان منها:

---

(١) في ب يوجد كذب إلا منه.

[أ] - التعذيب والتحريق بالنار فقد سمى ذلك فتنة بقوله:[1] ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾[2]. وبقوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون، ذوقوا فتنتكم، هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾[3]. والمراد بذلك حريق النار.

[ب] - ومنها التشديد في الامتحان والتكليف يحكيه قوله تعالى: ﴿ألم[4] أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[5]. وما جرى مجرى ذلك. والمراد امتحنا وشدّدنا في

---

(١) الكلمة من نخ ب وفي الأصل لقوله

(٢) سورة البروج آية ١٠.

(٣) سورة الذاريات الآيتين ١٣، ١٤.

(٤) قراءتها هكذا، ألفْ، لامْ، ميم.

(٥) سورة العنكبوت الآيات من ١ : ٣.

التكليف، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾[1]. وقوله: ﴿وفتناك فتونا﴾[2]. وقوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾[3]. وقوله: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾[4]. وما أشبه ذلك معناه الامتحان.

[جـ] ـ ومنها الإضلال عن الدين يحكيه قوله تعالى: ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان﴾[5]. معناه يضلكم.

فكانت لفظة الفتنة من الألفاظ المتشابهة، فيجب حمل كل شيء منها على ما يليق به. وقد علمنا أنه لا يجوز من الله سبحانه أن يضل أحداً عن الدين ولا أن يستدعيه إلى الكفر. بل هدى إلى الصلاح وأمر بالعدل والإحسان... فوجب

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٥.

(٢) سورة طه آية ٤٠.

(٣) سورة ص آية ٣٤.

(٤) سورة الدخان آية ١٧.

(٥) سورة الأعراف آية ١٢٧، وقد كتبت في الأصل ونخ ب غير صحيحة.

حمل الفتنة المضافة إليه سبحانه على أحد المعنيين الآخرين، إما أن يريد بذلك التعذيب بالنار أو التشديد في الامتحان، ووجب حمل كلامه مما ذُكِرت فيها الفتنة على ما يليق بها من هذه المعاني، وقوله تعالى: **﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً﴾**[1]، معناه من يرد الله إهلاكه بعذاب النار فلن تملك دفع ذلك عنه، ولا شك في ذلك.

وقوله تعالى: **﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾**[2]. معناه يشهد بطهارتها ويحكم بذلك، كما يقال زكى فلان فلاناً إذا شهد بتزكيته وحكم بذلك، قال الله سبحانه: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾**[3]. وإنما لم يحكم لهم بالطهارة لأنهم لم يفعلوا ما تطهر به قلوبهم من نجس الشرك وخبث

---

(١) سورة المائدة آية ٤١.

(٢) سورة المائدة آية ٤١.

(٣) سورة الجمعة آية ٢.

المعاصي، ولو فعلوا ذلك لحكم لهم به وطهر قلوبهم، وهذا واضح لمن تأمله.





الباب الرابع

في القضاء والقدر



إعلم أن مذهب الأئمة من أهل البيت الطاهرين ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ ومن طابقهم من علماء المسلمين أنه لا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء من الله سبحانه وقدر، وينكرون على من قال بذلك.

وذهبت المجبرة إلى جواز ذلك، بل لهم إشتغال بذلك عظيم، فكلما وقعت معصية اعتذروا فيها بالقضاء والقدر[١].

[كلمة «القضاء»]

والأصل في بيان ذلك أن القضاء منقسم[٢] إلى ثلاثة معان: ـ

---

(١) في ب بالقدر والقضاء.
(٢) في ب ينقسم.

أحدها: بمعنى الخلق والتمام يحكيه قول الله سبحانه: ﴿**فقضاهن سبع سماوات في يومين**﴾[1]. معناه أتم خلقهن.

والثاني: بمعنى الأمر والألزام، يحكيه قول الله تعالى: ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾[2]. معناه أمر وألزم.

والثالث: بمعنى الإخبار والإعلام يحكيه قوله تعالى: ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين**﴾[3]. معناه أخبرنا وأعلمنا.

ولا خلاف بيننا وبين المجبرة أنه لا يجوز نسبة المعاصي إلى قضاء الله، بمعنى أنه أمر بها، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا خلاف بيننا وبينهم أنه يجوز أن يقال قضى بها على معنى أخبر ملائكته وأنبياءه عليهم السلام بوقوعها من أهلها، وإنما

---

(١) سورة فصلت آية ١٢.
(٢) سورة الإسراء آية ٢٣.
(٣) سورة الإسراء آية ٤.

الخلاف بيننا وبينهم في أنه قضى بها بمعنى خلقها أم لا. فعندنا لا يجوز ذلك، وعندهم يجوز ذلك[1].

وقد بيَّنا فيما تقدم أن الله تعالى لم يخلقها ولا خلق شيئاً من أفعال العباد، بما فيه غنى لكل منصف... فبطل بذلك ما قالوه، وإذا ثبت ذلك لم يجز إطلاق القول بأنها من قضائه، لأنه يوهم أنه خلقها وأمر بها، وكلاهما فاسد.

[كلمة «القدر»]

وكذلك القدر منقسم ثلاثة أقسام:

أحدها: بمعنى الخلق على مقدار معلوم، يحكيه قول الله تعالى: **﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾**[2]، وقوله: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**[3] معناه على مقدار معلوم.

---

(١) في ب ذلك ساقطة.

(٢) سورة الفرقان آية ٢.

(٣) سورة القمر آية ٤٩.

وثانيهما: بمعنى الإخبار وبيان الحال، يحكيه قوله تعالى: ﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾[1]. معناه بيَّنا حالها.

وثالثها: بمعنى الكتابة، كما قال العجاج:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر
في الصحف الأولى التي كان سطر
أمرك هذا فاجتنب منه البتر[2]

معناه كتب في الصحف.

والخلاف واقع في أنه تعالى هل قدرها بمعنى خلقها في العصاة أم لا.

فعندنا لا يجوز ذلك، وقد بيناه فيما تقدم، وعندهم ذلك ثابت. ونحن لا نجوز إطلاق هذه العبارة، فيقول الواحد

---

(١) سورة النمل آية ٥٧.

(٢) تَبر تَبَراً هلك، التبار الهلاك. (المنجد ص ٥٨).

المعاصي بقضاء وقدر، لأن ذلك يوهم أنه تعالى خلقها وأمر بها[1] ، وذلك باطل كما قدمنا.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النهي عن إطلاق هذه العبارة، ونسبة الفواحش[2] إلى قضاء الله سبحانه وقدره أخبار كثيرة قد قدمنا منها ما فيه كفاية ومقنع.

وكذلك قد روي عن الصحابة والتابعين ما يغني الأقل منه من كان له قلب:

[١] - فمن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال للشيخ الشامي وقد سأله عن مسيره إلى الشام، أكان بقضاء وقدر[3]؟

فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما

---

(١) في ب أو أمر بها.

(٢) في ب هذه الفواحش.

(٣) في ب بقضاء من الله وقدر.

قطعنا وادياً ولا علونا تلعة [1] إلا بقضاء وقدر.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عناي، ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال عليه السلام: بلى أيها الشيخ قد عظم الله لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين.

فقال الشيخ: وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا.

فقال عليه السلام للشيخ: لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، لو كان ذلك [2] لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، ولما كانت تأتي من الله محمدة لمحسن، ولا مذمة لمسيء، ولما كان المحسن

(١) في ب نشزاً.

(٢) في ب ذلك كذلك.

بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب في الأمور، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطع مُكرِهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماء[1] والأرض وعجائب الآيات باطلاً، **﴿ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار﴾**[2].

فقال الشيخ: ما القضاء والقدر الذين ما وطئنا موطئاً إلا بهما؟

فقال عليه السلام: الأمر من الله والحكم، ثم تلى قوله تعالى: **﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾**[3].

---

(١) في ب السموات.

(٢) سورة ص آية ٢٧.

(٣) سورة الإسراء آية ٢٣.

فنهض الشيخ مسروراً بما سمع وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته
يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً
جزاك ربك عنّا فيه إحسانا
نفسي فداء لخير الناس كلهم
بعد النبي علي الخير مولانا
نفى الشكوك مقال منك متضح
وزاد ذا العلم والإيمان إيمانا
فليس معذرة في فعل فاحشة
يوماً لراكبها بغياً وعدوانا
لا، لا، ولا قائل ناهيه أوقعه
فيها عبدت إذاً يا قوم شيطاناً

فأطلق عليه السلام في أول كلامه بأن مسيره الذي هو طاعة لله تعالى وجهاد في سبيله كان بقضاء وقدر، وأراد

بذلك أنه كان بأمر الله وحكمه، وكان الشيخ يظن أنه أراد ما يذهب إليه المجبرة من أن ذلك كان بجبر منه تعالى واضطرار. فلما عرف عليه السلام أن الأمر قد التبس على الشيخ بينه له بأوضح بيان، وأقام عليه أوضح برهان، ونبّه على أن القضاء منقسم إلى معان[1]، وفي هذا مقنع لمن أنصف.

[٢] - وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بسارق[2]، فقال: ما حملك على ذلك؟ فقال: قضاء الله عليَّ وقدره يا أمير المؤمنين، فقطع يده وضربه عشرين درة أو ثلاثين، وقال: قطعت يدك على سرقتك وضربتك بكذبك على الله. ثم قال لأصحابه: لكذبه على الله شر من سرقته... وهذا يوضح عظم خطأ من أضاف هذه المعاصي إلى قضاء الله تعالى وقدره.

---

(١) في ب ينقسم على معان.

(٢) في ب أتي إليه بسارق.

[٣] - وروي عن ابن عباس رحمه الله أنه مر بسارق على حلقته فقال بعض القوم: أعوذ بالله من قضاء السوء، فقال ابن عباس: لقولكم فيه أعظم من سرقته، ثم ما زال يشنع قولهم حتى تابوا منه.

[٤] - وروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله أنه قرأ: ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهم مسودّة**﴾[١] فقال هم المجوس والنصارى وناس من هذه الأمة: زعموا أن الله تعالى قدر عليهم المعاصي، وعذبهم عليها، وكذبوا[٢] وأثموا على الله، والله يسود[٣] وجوههم بذلك.

وروي عنه أنه كان يقول: «الآجال والأرزاق والبلاء[٤]

(١) سورة الزمر آية ٦٠.

(٢) هكذا في الأصل و ب وإن كنا نرى أن تكون الكلمة فكذبوا.

(٣) في ب سود وجوههم.

(٤) البلاء ساقطة في ب.

والمصائب والحسنات بقدر من الله، والسيئات من أنفسنا ومن الشيـطان».

وروي عنه أنه كان يقول: «قاتل الله قوماً يـزعمون أن الله قـدر خـطايـا بعث محمـداً صلى الله عليـه وآلـه وسلم ينهى عنها».

وروي عنه أنه كـان يقول: «لا والله مـا قضى الله بسخط منه».

[٥] - وروي عن قتادة[١] أنه قال: «الأشياء كلهـا قدر مـا خلا المعاصي».

---

(١) قتـادة بن دعامـة بن قتادة بن عُـزيـز، ولـد سنـة ٦١ للهجـرة، أبـو الخطاب السدوسي البصري، مفسـر حافظ ضرير أكمه، قال أحمـد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحـديث رأساً في العربية ومفـردات اللغة، وأيـام العرب، والنسب، مـات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ للهجرة.
(تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٥).

[٦] - وروي عن الشعبي[١] أنه قال: «أحبب آل محمد ولا تكن رافضياً[٢]، وأثبت وعيد الله ولا تكن مرجياً، ولا تكفر[٣] الناس فتكون خارجياً، والزم الحسنة ربك، والسيئة نفسك ولا تكن قدرياً».

[٧] - وروي عن عمر بن عبد العزيز[٤] أنه قال له غيلان

---

(١) قد تقدمت ترجمته.

(٢)

(٣) في ب ولا تكفرن.

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو حفص، ولد سنة ٦١ للهجرة، نشأ بالمدينة، ولي الخلافة سنة ٩٩ للهجرة، منع سب الإمام علي على المنابر عهد إليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة، لم يبقِ لبني أمية شيئاً وسمى إقطاعياتهم مظالم وردها للمسلمين، ولم يسكن في قصورهم التي بنوها بأموال المسلمين، وصل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمال وزاد لفاطمة بنت الحسين عليهم السلام شيئاً لما كتبت إليه «جزاك الله من وال خيراً فلقد أشبعت بطوناً من أهل بيت النبي جائعة، وكسوت ظهوراً عارية، وأخدمت من كان لا يقدر على خدمة نفسه»، ورد فدكاً على =

= أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا خلاف بين أهل العلم في ذلك. منع سب الإمام علي في خطبة الجمعة وكان بنو أمية قد جعلوا له موضعاً فيها وابدله بقوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**.

قال الشاعر:

استراحت من السباب البتول
وبنوها وبعلها والرسول

وقال غيره:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف
بريا ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي
فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

لم تطل مدة خلافته، دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة فتوفي به سنة ١٠١ للهجرة، بلغ من العمر ٣٩ سنة ومدة خلافته سنتان ونصف.

رثاه الشريف الرضي بقصيدة مطلعها:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين
فتى من أمية لبكيتك

(وفاة الوفيات ج ٥ ص ١٠٥، حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٥٣،

الـدمشقي:[1] يا أميـر المؤمنين إن أهل الشـام يقـولـوا المعاصي بقضاء الله. فقال: «يا غيلان ألست ترى إني أنكر مظالم بني أمية وأردها؟ أترى أني أنكر قضـاء الله وأرده». ؟!

= تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٤، كتاب الشـافي للمنصور بـالله عبد الله بن حمزة ج ١ ص ١٨٥).

(١) غيـلان بن مسلم الدمشقي، أبـو مروان، كـاتب من البلغاء، تنسب إليه فرقة الغيلانية، قال الشهرستاني في الملل والنحل كان غيلان يقول: «الفعل خيره وشره» من العبـد، وفي الإمامـة أنها تصلح في غير قريش، وكل من كان قائماً بالكتاب والسنة فهو مستحق لها ولا تثبت إلا بإجماع الأمة. قال ابن النديم: أن رسائله في نحـو ألفي ورقة. كان من أصحاب عمر بن عبد العزيز المقربين لـديه. طلبـه هشام بن عبد الملك واتهمـه بالعـدل والتوحيـد فقتله وقتل صـاحبه صـالح المـري وصلب على بـاب كيسـان بـدمشق بعـد سنـة ١٠٥ للهجرة.

(الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٧، عيـون الأخبار لابن قتيبـة ج ٢ ص ٣٤٥، طبقات المعتزلـة ص ٢٥: ٢٧، كتاب الشافي ج١ ص ١٨٦).

وأمثال ذلك مما يطول إستقصاؤه... فبان بهذا أن من أضاف المعاصي إلى قضاء الله سبحانه وقدره مخالف لما كان عليه السلف الصالح من علماء الإسلام رحمة الله عليهم، وذلك هو الخسران المبين.





الباب الخامس

في ذكر الضلال والهدى



[كلمة «الهدى»]

إعلم أن الهدى منقسم إلى ثلاثة معان : -

أحدها: بمعنى الدلالة[1] والبيان، يحكيه قول الله تعالى : ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس**﴾[2]، معناه دلالة وبيان لكافة الناس. وكذلك قوله : ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾[3]. وقوله : ﴿**ولكل قوم هادٍ**﴾[4] وقوله : ﴿**اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد**﴾[5].

وثانيها: بمعنى الزيادة في الهدى بالتوفيق والتسديد،

---

(١) في ب الأدلة.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٣) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٤) سورة الرعد آية ٧ .

(٥) سورة غافر آية ٣٨ .

وذلك لمن اهتدى بالهداية الأولى، يحكي ذلك قوله تعالى: ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾[1] وقوله: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾[2].

وثالثها: بمعنى ثواب الآخرة فقد سماه الله تعالى هدى بقوله: ﴿**والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم**﴾[3] فأخبر أنه يهديهم بعد القتل، وذلك لا يكون إلا ثواباً.

فإذا صح ذلك ووجدنا بعض آيات القرآن الكريم تقتضي أنه تعالى يهدي الكفار نحو قوله: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾[4]. وبعض آياته تقتضي أنه لا يهدي الكفار، نحو قوله: ﴿**والله لا يهدي القوم**

(١) سورة مريم آية ٧٦.

(٢) سوةر الكهف آية ١٣.

(٣) سورة محمد آية ٥.

(٤) سورة فصلت آية ١٧.

الكافرين﴾[1] . وأمثال ذلك، وقد علمنا أن القران لا يتناقض، وجب أن نعلم أن الهداية التي أثبتها للكفار هي غير الهداية التي نفاها، فتكون الثابتة لهم هي الهداية العامة، التي هي بمعنى[2] الدلالة والبيان، ولا شك في ذلك، لأنه تعالى قد بين لكلٍ ما يحتاج إليه **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيَّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم﴾**[3] . وتكون المنفية عنهم إحدى الهدايتين الآخرتين، إما زيادة التوفيق والتسديد ـ لأن ذلك إنما يكون لمن تقدم منه الإهتداء بالهداية الأولى، كما قال تعالى: **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾**[4] ـ وإما ثواب الجنة الذي قد سماه هدى، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا للمؤمنين. فإذا وردت عليك آيات القرآن وحملتها[5] على هذا الوجه عرفت أنه كتاب عزيز **﴿لا يأتيه**

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤، وسورة التوبة آية ٣٧.

(٢) في ب هي ساقطة.

(٣) سورة الأنفال آية ٤٢.

(٤) سورة مريم آية ٧٦.

(٥) في ب وجملتها.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[1].

[من معاني كلمة «الضلال»]

وكذلك لفظة الضلال فهي منقسمة إلى معان نذكر منها ها هنا ما نحتاج إلى ذكره: ـ

فقد يكون: بمعنى الهلاك في الدنيا، يحكيه قوله تعالى: ﴿وقالوا إذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد﴾[2] معناه هلكنا وذهبنا وتقطعنا.

وثانيها: بمعنى العقاب في الآخرة، يحكيه قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾[3] فأخبر تعالى أنهم

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢.

(٢) سورة السجدة آية ١٠.

(٣) سورة القمر الآيتين ٤٧، ٤٨.

في ضلال ذلك اليوم، وليس ذلك إلا العقاب، لأن الدار ليست دار تكليف فيكون فيها كفر وإيمان.

وثالثها: بمعنى الإغواء والاستدعاء إلى الكفر، يحكيه قوله تعالى: ﴿**وأضل فرعون قومه وما هدى**﴾[1] وقوله: ﴿**وأضلهم السامري**﴾[2] معناه الدعاء إلى الكفر والإغواء عن الإيمان.

فإذا وردت علينا من آيات القرآن ما يقتضي أن الله سبحانه يضل بعض العباد نحو قوله: ﴿**كذلك يضل الله الكافرين**﴾[3]. وقوله: ﴿**يضل من يشاء ويهدي من يشاء**﴾[4]. وأمثال ذلك، وجب أن نحمله على أن المراد به ما يجوز أن يفعله الله سبحانه، نحو إهلاكه للعصاة في الدنيا أو عقابه لهم في الآخرة. فقد بيّنا أن ذلك كله يجوز أن

---

(١) سورة طه آية ٧٩.

(٢) سورة طه آية ٨٥.

(٣) سورة غافر آية ٧٤.

(٤) سورة النحل آية ٩٣، وسورة فاطر آية ٨.

يسمى ضلالاً، ولهذا قال سبحانه: **﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، وما يضل به إلا الفاسقين، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾**[1]. فأخبر أنه تعالى لا يضل به إلا من فسق ونقض العهد وقطع ما أمر بصلته. وذلك يوضح أن هذا الإضلال عقاب لمن فعله تعالى به. وكذلك في قوله تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾**[2]. معنى الإضلال ها هنا العقاب فكأنه قال: ومن يرد أن يعاقبه يقدم له ضيق الصدر إما في حياته، وإما عند موته بما يُبَشر به من عذاب ربه.

ولا يجوز أن يحمل شيء من الإضلال المضاف إليه تعالى على أن المراد به الإغواء عن الإيمان أو الاستدعاء إلى الكفر، لأن ذلك كله قبيح، والله سبحانه لا يأمر به، ولا يوقع فيه، وكيف يكون ذلك وقد نهى عنه النهي البليغ، وتوعد

---

(١) سورة البقرة الآيتين ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٥.

عليـه الـوعـد[1] العظيم، وذم من فعله من شيـاطين الجن والإنس بقوله تعالى: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾[2]، ﴿وأضلهم السامري﴾[3] وقوله: ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾[4]. وأمثال ذلك... فمتى حملت آيات القرآن الكريم على هذا الوجه لم تتناقض، وصح أن بعضها شاهد بصحة[5] البعض ومؤيد له، وشهد التدبر لآياته أنه بريء من الاختلاف الموقع في الحيرة، كما قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[6].

---

(1) في ب الوعيد.

(2) سورة يس آية ٦٢.

(3) سورة طه آية ٨٥.

(4) سورة طه آية ٧٩.

(5) في ب لصحة البعض.

(6) سورة النساء آية ٨٢.



الباب السادس

في ذكر التكليف وشروطه وتوابعه



إعلم أن مـذهب الأئمة الـطاهرين من أهـل البيت سـلام الله عليهم أجمعين، ومن طابقهم من علماء المسلمين أن الله سبحـانه خلق جميـع عباده العقـلاء في هذه الـدنيا لعبـادتـه، وأرادهـا من جميعهم[1]، ومكنهم من فعلها، ومـا كلف أحداً من ذلك ما لا يطيقه، ولا حا بين أحد وبين فعـل الصلاح، وطلب النجـاة، فمن أطاعـه منهم، واحتمل بـاختيـاره مشقـة الطاعة استحق بذلك عظيم الثواب. ومن عصاه منهم فبإختيار نفسـه الأمارة بـالسوء عصى، ومنهـا أُتي لا من الله سبحـانـه، وهو يستحق بذلك العقاب العظيم.

والمجبـرة تخـالف في هـذه الجملة، فعنـدهم أن الله سبحـانـه خلق أكثـر خلقـه ليستعملهم بـالكفـر في الـدنيـا، ويسوقهم به إلى النار.

---

(١) في ب منهم جميعهم.

والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد قولهم هذا، قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] فالله تعالى أخبر أنه ما خلق أحداً منهم إلا للعبادة، وإسم الجن والإنس إسم جنس معرف بالألف واللام فيستغرق جميع الجن والإنس، ويدخل تحته الكافة منهم إلا ما اقتضى الدليل إخراجه من الأطفال الذين يموتون قبل بلوغ خال التكليف، ومن المجانين الذين لا هداية لهم إلى القيام بالعبادة، فإنا نعلم بأدلة العقول خروجهم مما اقتضاه العموم، لعلمنا بأن الله سبحانه حكيم لا يكلف العباد إلا ما يمكنهم القيام بها.

وذهبت المجبرة إلى أن الله تعالى لا يريد من أكثر الخلق وهم الكفار شيئاً من الطاعات، بل أراد منهم الكفر والمعاصي. وقد دللنا فيما تقدم على فساد ذلك، ويدل عليه

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

قوله سبحانه: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[1] واليسر هو النفع الخالص وما يؤدي إليه، ولا شك أن الثواب أعظم المنافع، والذي يؤدي إليه الطاعات، فوجب أن يكون مريداً لها. والعسر هو الضرر الخالص وما يؤدي إليه، وأعظم المضار النار، والذي يؤدي إليها المعاصي، فوجب أن لا يكون مريداً لها.

وذهبت المجبرة أيضاً إلى أنه يجوز منه تعالى أن يكلف ما لا يطاق. ومنهم من يقول قد وقع منه ذلك.

والذي يدل على فساد ذلك قوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**لا تكلف نفس إلا وسعها**﴾[3]، وأمثال ذلك مما يكثر، ولأن تكليف ما لا يطاق قبيح ومعلوم قبحه عند من له تمييز من العقلاء، ولهذا يقبح تكليف

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٣.

الأعمى بنقط المصاحف على جهة[1] الاستقامة والصواب، وتكليف من لا جناح له بالطيران، والله تعالى لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه وعلمه بفناه عنه على ما تقدم بيانه... وبهذا نعلم أنه تعالى لا يحول بين أحد من خلقه وبين شيء من طاعاته، (بخلاف ما يتوهم من لا معرفة له، إذ لو حال بينهم وبين شيء من طاعاته)[2] [التي أمرهم بها][3] لكان قد كلفهم ما لا يطيقون، وذلك لا يجوز.

[١] - وقد تعلق المخالف بأشياء منها قوله تعالى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾**[4]. الآية...

قالوا: فالله سبحانه أخبر أنه خلق كثيراً من خلقه للنار، وهو خلاف ما تذهبون إليه.

والجواب: أنه تعالى أخبر بذلك عن عاقبة أمرهم لا عن

---

(١) في ب على وجه.

(٢) ما بين القوسين ساقط في ب.

(٣) في الأصل ونخ ب (الذي أمرهم به) ولعلها تصحيف من الناسخ.

(٤) سورة الأعراف آية ١٧٩.

مقصوده لهم[1] أنه خلقهم للنار. وهذه اللام تسمى في اللغة لام العاقبة، نحو قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾[2]. والمعلوم أن غرضهم بالتقاطهم إياه أن يكون لهم ولداً وقرة عين، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾[3] فلهذا التقطوه، لكنه لما كان المعلوم عند الله سبحانه أن عاقبة أمرهم أن يكون لهم عدواً وحزناً جاز أن يخبر عن عاقبة أمرهم، حتى كأنه مقصودهم به، وإن كانوا لم يقصدوا ذلك. وهذا النوع من الكلام معروف في اللغة وبه وردت الأشعار، قال بعضهم:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

---

(١) في ب بهم.

(٢) سورة القصص آية ٨.

(٣) سورة القصص آية ٩.

وِقال آخر:

لِدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير إلى ذهاب

وذلك ظاهر فكأنه تعالى قال: ولقد ذرأنا خلقاً كثيرا نعلم أن عاقبتهم المصير[1] إلى النار لسوء إختيارهم وقبح أعمالهم، وإن كنا خلقناهم للعبادة والتعريض للجنة. كما أن تقدير الآية الأخرى كأنه قال: فالتقطه آل فرعون والمعلوم من حاله أن يكون لهم عدواً وحزناً، وإن كانوا لم يلتقطوه إلا ليكون لهم ولداً وقرة عين. وكما أن تقدير كلام الشاعر كأنه قال: نجمع أموالاً المعلوم من حالها أنها تصير للورثة، ونبني دوراً المعلوم من حالها أنها تصير إلى الخراب، وإن كنا نعلم أنهم لم يجمعوا الأموال إلا لتكون لهم عدة عند النوائب، ولا بنوا الدور إلا لتكون لهم مأوى يستقرون فيها، وهذا ظاهر، وعلى هذا النحو يجري الكلام فيما يشبه هذه الآية من نحو

(١) في ب المصير ساقطة.

قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾[1] فإن اللام في قوله ليزدادوا إثماً هي لام العاقبة، فكأنه قال: نملي لهم ونحن نعلم من حالهم أنهم يزدادون إثماً لسوء[2] إختيارهم، فعلى هذا النحو يجري الكلام فيما هو من هذا الجنس.

وإذا حملت هذه الآيات على هذا التأويل لم يخالف قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[3] وأمثالها من الآيات التي قدمنا ذكرها، ولم تخالف أدلة العقول التي دلت على عدله تعالى وحكمته وعظيم رحمته لخليقته، وأنه تعالى: ﴿لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، كما تمدح بذلك في كتابه الكريم.

[٢] - ومما تعلق المخالف به الآيات التي فيها ذكر الطبع

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٨.

(٢) في ب بسوء.

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦.

والختم والغشاوة والأكنة والأسدّة[1]، وظنوا أن لهم في ذلك علقة، وليس فيه ما ظنوه.

لأن المراد بالطبع والختم علامة يظهرها الله سبحانه على قلوب الكفار ليعرف بها الملائكة عليهم السلام ما يبطنونه من الكفر، وليميزوا بينهم وبين غيرهم، فيلحقون بهم ما يستحقون من الذم والبراءة واللعن، وذلك في الطبع والختم معروف. يقال: طبع فلان الدرهم والدينار، معناه جعل عليها علامة منقوشة ليُميَزا من غيرهما، والطابع هو آلة العلامات. ويقال ختم الباب والكتاب بمعنى جعل عليهما علامة يتعرف بها أحوالهما في الصيانة وخلافها، وليس ذلك مانعاً من الإيمان، ولهذا قال تعالى: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾[2] فأخبر أن قليلاً منهم يؤمنون، فلو كان ذلك مانعاً من الإيمان لما صح من القليل ولا الكثير، ولا يصح أن يقال

---

(١) في ب والأشدة.

(٢) سورة النساء اية ١٥٥.

ان الطبع هو خلق الكفر لأن الله سبحانه قد أبطل ذلك بقوله: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾، فأخبر أن الطبع كان سببه الكفر، فلا يكون هو الكفر كما إذا قال: فأخذهم الله بذنوبهم، لم يكن الأخذ هو الذنوب، وذلك ظاهر.

فأما ذكره الغشاوة والأكنة والأسدة[1]، وذكره أنهم صم بكم عمي فإن المقصود بذلك هو تمثيلهم بمن هذه حاله، لأنهم كانوا في الحقيقة كذلك، فإنا قد علمنا أنهم كانوا يبصرون ويسمعون ويعقلون ما يتصرفون فيه. فلولا[2] كونهم كذلك لم يلزمهم حجة، ولكنهم لما لم ينتفعوا بأبصارهم وأسماعهم وعقولهم في أمور الدنيا صارت كالمعدومة وكالمحجوبة بالأكنة والأسدة، وما جرى هذا المجرى، كما وصفهم تعالى بأنهم صم بكم عمي، وأراد بذلك أنهم في عدم الإنتفاع بهذه الحواس والعقول في أمر الدين صاروا

---

(١) في ب الأشدة.

(٢) في ب ولولا.

بمنزلة مَن عدمها، وهذه طَريقة للعرب معروفة قال الأفوه الأوْدي [1].

منا معاشر لم يبنوا لقومهم
وإن بنا قومهم ما افسدوا وأعادوا
كيف الرشاد وقد صرنا إلى ملاءٍ
لهم عن الرشد أغلال وأقياد

فأراد تمثيلهم.بمن هذه حاله وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك.

[٣] - ومما تعلق المخالف به قصة إبليس وخلق الله سبحانه له، قالوا: لماذا خلقه لولا أنه يريد إغواءه للناس سيما

(١) صلاءة بن عمرو بن مالك من بني أود منِ مذحج، شاعر يماني جاهلي يكنى أبا ربيعة، لقب بالأفوَه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان، كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره.
(الشعر والشعراء ص ٥٩).

وقد قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾[1].

والجواب: أن إبليس لعنه الله واحد من الجن، (والجن مخلوقون للعبادة، كما أخبر سبحانه بقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2])[3] وإنما عصى وخالف مراد الله تعالى فاستحق اللعنة بذلك. وأنظره الله سبحانه إلى فنى مدته[4]، كما أنظر غيره من الكفرة ولم يعاجلهم بالعقوبة، وقد توعده على إضلال الخلق ونهاه عنه كما نهى غيره من شياطين الإنس وذلك كله يدل على أنه كاره لما يجري منه من الضلال والإضلال، كما هو كاره لذلك من غيره على ما تقدم بيانه، بل قد نهى الخلق عن إتباعه وطاعته فيما يدعو إليه، وتوعدهم بالعقاب على ذلك فقال تعالى: ﴿يا بني ءادم

---

(١) سورة مريم آية ٨٣.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٣) ما بين القوسين ساقط في ب.

(٤) فنى ساقطة في ب.

لا يفتنكم الشيطان﴾[1]، وقال: ﴿اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾[2]، وغير ذلك.

فأما قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾[3] فالإرسال قد يستعمل في معنيين:

أحدهما: الأمر بالشيء والحث عليه، كما أرسل الله سبحانه رسله عليهم السلام لهداية الناس وإرشادهم.

والثاني: التخلية التي معناها أنه لم يمنع، كما يقال أرسل فلان ناقته ودابته بمعنى خلاهما ولم يمنعهما، فإرسال الله الشياطين على الكافرين بهذا المعنى، لأن معناه أنه خلّى بينهم وبينهم، ولم يصرفهم عنهم بألطافه[4] وزيادته في الهدى، من حيث أن الكفار

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٢) سورة الإسراء آية ٦٣.

(٣) سورة مريم آية ٨٣.

(٤) في ب بالطاعة.

لم يهتدوا بالهدى الأول، وقد بينا أن الزيادة تختص بالمهتدين.

فلما لم يمنعهم عنهم بشيء من ذلك جاز أن يقول إنا أرسلنا، لأن الله سبحانه لا يجوز أن يأمر الشياطين بإغواء الكفار، لأن ذلك من الفواحش، والله سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وهذا ظاهر.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وقيضنا لهم قرناء﴾**[1]، وقوله: **﴿نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾**[2]، معناه التخلية كما سبق. وقد قيل هم الشياطين الذين يُقرنون بهم في النار، والشيطان فليس بغالب لأحد من العباد على أمره، بل داع يدعو إلى الشر، فمن أطاعه فقد ظلم نفسه إذ هو قادر على مخالفته، فاللوم على من أطاعه في ذلك لا على الله سبحانه، ولهذا قال تعالى فيه: **﴿إنه ليس له سلطان على**

---

(١) سورة فصلت آية ٢٥.

(٢) سورة الزخرف آية ٣٦.

الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾[1]. وحكى عنه ذلك بقوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق، ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكمً من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾[2] الآية.

[٤] - ومما تعلقوا به الآيات التي يذكر فيها [تزيين الأعمال][3] ويظنون أن الله سبحانه وتعالى زين لأحد شيئاً من المعاصي، ومعاذ الله أن يكون كذلك، بل لم يزين تعالى إلا فعل الصلاح كما قال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾[4]، وتزيين الله سبحانه

---

(١) سورة النحل الآيتين ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٢.

(٣) ما بين القوسين في الأصل هكذا (التزيين له أعمال)، وفي نخ ب هكذا (لتزيين الأعمال)، ولعل الأصح ما ذهبنا إليه.

(٤) سورة الحجرات آية ٧.

لذلك في القلوب هو بما عرفهم من حسن هذه الأفعال، ورغبهم فيها بالثواب العظيم ودعاهم إليها، وكذلك كره المعاصي إليهم بما عرفهم من قبحها وصرفهم عنها بالنهي البليغ والوعيد الشديد، وجميع ما فعله الله سبحانه من ذلك مع المؤمنين فقد فعله مع الكفار، لأن الكل مأمور بالإيمان منهي عن الكفر، مدعو إلى الطاعة، مصروف عن المعصية موعود بالثواب على الخير، متوعد بالعقاب على الشر، وذلك ظاهر.

فأما قوله: ﴿كذلك زيّنا لكل أمة عملهم﴾[1]، وقوله: ﴿زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾[2]، وما جرى هذا المجرى، فإن المراد به أنه تعالى زين لهم الأعمال الصالحة التي أمرهم بها على ما قدمنا بيانه، وإنما سماها أعمالاً لهم وإن لم يكونوا عملوها لأجل أنه يجب عليهم فعلها، كما يقول

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨.

(٢) سورة النمل آية ٤.

القائل: أقوم لعملي فاعمله، فيسمي ذلك عملاً له قبل وجوده، وكذلك يقال ضيع فلان صلاته إذا لم يفعلها، فنسبت إليه من حيث كان يجب عليه فعلها، وكذلك منع زكاته، وذلك معلوم فيما بيَّنا[1]، فلم يكن فيما تعلقوا به دلالة على أن الله سبحانه مزين للمعاصي، وإنما المزين لذلك هو شياطين الجن والإنس كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم بقوله: **﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس﴾**[2]، وقال: **﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾**[3]، وقال: **﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليُردُوهم﴾**[4]. ومعنى هذا التزيين هو أنهم رغبوهم في فعل هذه المعاصي وأوهموهم خفة الأمر فيها أو زوال العقاب عن فعلها.

---

(١) في ب فيما بيننا، قال في حاشية الأصل وفي نسخة فيما بيننا.

(٢) سورة الأنفال آية ٤٨.

(٣) سورة النمل آية ٢٤.

(٤) سورة الأنعام آية ١٣٧.

فإذا عرفت هذا الأصل صرفت كل آية مما فيه ذكر التزيين إلى ما يليق به من المعاني لتكون من أولي الألباب المبشَّرين بطوبى وحُسن مآب، قال الله سبحانه: **﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب﴾**[١].

وهذا هو الواجب على كل عاقل، فإن تغرير الإنسان بنفسه في قبول كل غث وسمين من أقاويل الآباء والمشايخ القدماء مما لا عذر له فيه ولا خلاص له معه، وألزم الفروض له قبول النصيحة التي هي أفضل الهدايا وأجزل المنح والعطايا، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة يسمعها[٢]، فانطوى عليها ثم علمه إياها، يزيده الله بها هدى، أو يرده عن ردى، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

---

(١) سورة الزمر آية ١٨.

(٢) في ب سمعها.

فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا من القائلين بالنصائح، الفائزين بالعمل[1] الصالح، المتخذين التقوى عِدَّة وزاداً، المتمسكين بالحق قولاً وعملاً واعتقاداً بمنّه ولطفه.



(١) في ب في العمل.

تمت خلاصة الفوائد[1]

بعون الله ومنّه

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآلـه وسلم.

بلغ مقابلة على الأم بعناية مالكه الفقير إلى الله تعالى

---

(١) في ب تمت خلاصه الفوائد بحمد الله العظيم الواحد، مَن خلق الخلق والله العائذ والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله الطيبين الأبرار المصطفين الأخيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم الغفار.

تمت دراسته بعد العضر يوم الثلاثاء دواخل ثلاثة أيام من شهر جمادي الأخرة سنة إثنتين وعشرين وثمانمائة، غفر الله لمن درسه ولوالديه وللمسلمين أجمعين إنه غفور رحيم.

نسخه لنفسه العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي القدير العائذ=

إبـراهيم بن عبد الله الحيي، بحسب الـطاقة والإمكـان؛ يـوم الأحد سابـع عشر شهـر الحجة الحـرام سنة ١٠٢٤ بلّغـه الله حفظ معـانيه والعمـل بما فيـه إنه على ذلـك قدير وبالإجـابة جدير، والحمد لله رب العالمين.

= بربه من عذاب السعير، المستغفر الله من الذنوب الكثير، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنـك على كل شيء قـدير. الفقيـر إلى ربه أحمد بن عبد الله بن أسعد بن سبأ الحرازي، غفر الله له ولوالـديه ولجميع المسلمين، ولمن قال آمين.

وكان الفراغ من نساختها يوم الثلاثاء بواقي ثلاثة أيام من شهر ربيع الأخرى الـذي هو من شهـور سنة إثنتين وعشـرين وثمان مـائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

والحمد لله على كل حـال من الأحوال، وصلواتـه على محمد وعلى آله خير آل.

الفهرس